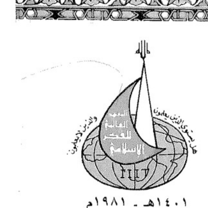
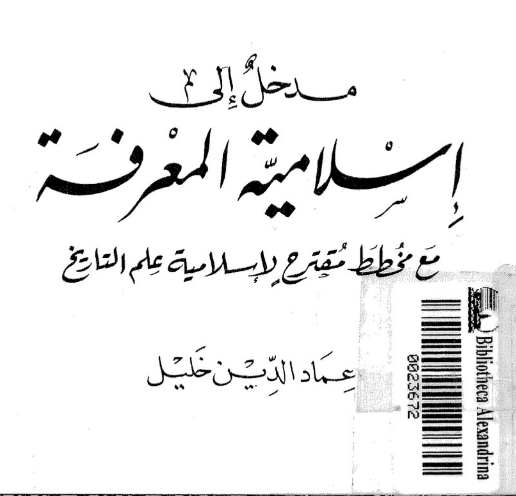
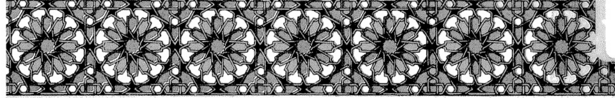
المعهد العالمي للفكر الإسلامي

سلسلة إسلامية المعرفة (٩)



١٤٠١هـ - ١٩٨١م





عماد الدين خليل

- من مواليد الموصل - العراق سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.
- حصل على إجازة الآداب بمرتبة الشرف من جامعة بغداد عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.
- حصل على الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- نال درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بمرتبة الشرف الأولى من جامعة عين شمس القاهرة عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- عمل مشرفًا على المكتبة المركزية في جامعة الموصل ١٣٨٦ - ١٣٨٧ هـ (١٩٦٦ - ١٩٦٧ م).
- عمل معيدًا فمدرسًا فأستاذًا مساعدًا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية الآداب - جامعة الموصل ١٣٨٧ - ١٣٩٧ هـ (١٩٦٧ - ١٩٧٧ م).
- عمل رئيسًا لقسم التراث ومديرًا لمكتبة المتحف الحضاري وباحثًا علميًا في المديرية العامة للآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في العراق (الموصل) ١٣٩٧ - ١٤٠٧ هـ (١٩٧٧ - ١٩٨٧).
- يعمل الآن أستاذًا للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية الآداب - جامعة صلاح الدين - أربيل - العراق.
- حاضر في عدد من الجامعات والمؤسسات العلمية والتربوية العربية.
- شارك في عدد من الأعمال العلمية للمنظمة العربية للتربية والثقافة (الأليسكو) ومكتب التربية العربي لدول الخليج.

مطبعة ومكتبة الأمنية ش.م.
IMPRIMERIE LIBRAIRIE OMNIA s.a
رقم الايداع القانوني : 92/334

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين



ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

العلق ١ ـ ٥

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

النحل ٧٨

مدخلٌ إلى

إسلاميّة المعرفة

مع مخطط مقترح لإسلامية علم التاريخ

عماد الدّين خليل

دار الأمان

سلسلة إسلامية المعرفة (٩)

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Khalīl, Imād al Dīn. 1939 (1358)-
Madkhal ilā Islāmīyat al Ma'rifah, Ma'a Mukhaṭṭaṭ Muqtaraḥ li Islamīiyat 'Ilm al Tārīkh.
p. cm. (*Silisilat Isāmīyat al Ma'rifah* No. 9) 91-6493
CIP

ISBN 0-912463-60-0
1. Islam—20th century. I. Title.
BP163.K4842 1991 Orien Arab

Printed in the United States of America
by International Graphics Printing Services
4411 41st Street
Brentwood, Maryland 20722 U.S.A.
Tel. (301) 779-7774 Fax (301) 779-0570

الفهـرس

تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن من سعادة المعهد العالمي للفكر الإسلامي أن يقدم هذا الجهد النافع المفيد الذي أعده كاتب إسلامي معروف هو الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل الذي عرفته المكتبة الإسلامية بغزارة إنتاجه ودقة تحليلاته وفيض أفكاره ونظراته الثاقبة الذكية في تفسير التاريخ، وملاحظة أمراض الحضارة، ورصد أسباب النهوض. ولقد سعدت أسرة المعهد العالمي للفكر الإسلامي بانضمام الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل إليها باحثًا ومفكرًا وكاتبًا يعمل في قضايا إصلاح مناهج الفكر وترسيخ وتثبيت دعائم إسلامية المعرفة، ولم يكن الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل بعيدًا عن هذه الدائرة أو منفصلاً عنها في كل ما أنتجه أو قدمه، لكنه في رسالته هذه يدخل إلى الصميم من همومها واهتماماتها، ويبدأ في سلسلة من المعالجات المباشرة في قضاياها. وإن رسالته هذه التي عنونها «مدخل إلى إسلامية المعرفة ونموذج مقترح لإسلامية علم التاريخ» على لطافة حجمها، نيرة الأفكار غزيرة الآراء جديرة بأن تضاف إلى الملف الأول من ملفات قضية إسلامية المعرفة.

وهذا الكراس يمثل دراسة قد أعدها الباحث الكريم في إطار تحويل هذه القضية إلى مساق دراسي تمهيدًا لتوصيلها إلى جماهير المتعلمين من أبناء الأمة

وتحويلها إلى جزء من همومهم واهتماماتهم. ولذلك فقد ذيّلها بنموذج لمخطط كتاب منهجي في التاريخ الإسلامي، حرصًا منه على توضيح الفكرة بالمثال، واستنهاض الهمم لتحذو حذوه في مجالات المعرفة المختلفة.

ولما كانت مساهمته، حفظه الله، من أفضل المساهمات التي تلقاها المعهد، فقد رأى المعهد أن يعجل بطباعتها ونشرها، ليعم نفعها في توجيه الأنظار، وشحذ الأفكار، واستثارة الهمم، لتعميق جوانب هذه القضية، وتحويلها إلى بؤرة اهتمام الأمة ومركز الدائرة في قضاياها الفكرية.

جزى الله أخانا عماد الدين خيرًا على جهده المبارك ووفقه لما يحبه ويرضاه، إنه سميع مجيب.

د. طه جابر العلواني
رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي
هيرندن ــ فرجينيا ــ الولايات المتحدة الأمريكية
رمضان ١٤١١هـ ــ نيسان/ أبريل ١٩٩١م

تمهيد

تتحرك عملية إسلامية المعرفة على محورين أساسيين أحدهما تنظيري والآخر تطبيقي. ويكاد يكون المحور الأول مدخلاً ضروريًا للمحور الثاني، فهو الذي يتولى التعريف بالمصطلح ويوضح ضروراته الملحة، ويصنف الحلقات الأساسية للمعرفة، ويؤثر على فهمنا لموقف القرآن والأصول الإسلامية عمومًا، من العلم الحديث، ويلقي الضوء على التراث المعرفي الإسلامي في إطاره التاريخي لتحديد معطياته الإسلامية الأصيلة، كما يسعى بالمقابل لمتابعة عوامل الانفصال المحزنة بين التصور الإسلامي والنشاط المعرفي في إطار هذا التراث.. وامتدادًا إلى العصر الحديث حيث لعبت قوى الغزو الاستعماري، بصيغتيه القديم والجديد، دورًا فاعلاً في تعميق هذا الانفصال والوصول به إلى الازدواجية التي تتحكم بمجرى النشاط المعرفي في عالم الإسلام عبر اللحظات الراهنة. هذا إلى أن مهمة المحور التنظيري متابعة المعطيات الإسلامية الحديثة والمعاصرة، وتصنيفها لكي تعين وترفد عملية الأسلمة، والتأشير على الخطوات الأساسية التي تمت أو يتحتم أن تتم بصدد العملية على مستوى النشر والتأليف أو الندوات والمحاضرات والمؤتمرات أو المؤسسة المتخصصة، ولا سيما الجامعة التي تعد ـ ولا ريب ـ حجر الزاوية في العملية كلها. ويمكن كذلك أن يتولى المحور تقديم وتصنيف المقترحات الضرورية التي تعين على تنفيذ العملية وتحويلها إلى أمر واقع ذي فاعلية مؤكدة وقدرة ـ في الوقت نفسه ـ على الاستمرار والانتشار.

وإذا كان هذا المحور التنظيري، قد يترجم بمطالبه جميعاً في مؤلف واحد ذي جزء أو جزءين أو ثلاثة، فإن المحور التطبيقي يختلف تمامًا على مستوى الكم. فهنا ستتم معالجة كل فرع من فروع المعرفة البشرية الإنسانية والصرفة والتطبيقية، لكي تصاغ توجهاتها الأساسية ومفرداتها التفصيلية وفق المنظور الإسلامي. وهنا كذلك لن يكون بمقدور مفكر واحد ـ أو حتى مجموعة من المفكرين ـ أن تنجز عملاً واسعًا متشعبًا كهذا، لأنه يقتضي عددًا كبيرًا من المتخصصين في كل فرع من فروع المعرفة آنفة الذكر. . . فإن أسلمة التاريخ مثلاً، أو الأدب، أو الاقتصاد، يحتم تفرّغ مجموعة متخصصين في كل فزع من هذه الفروع لكي يتمكنوا من تنفيذ العمل على ضوء ما يسمى بالتخصص الدقيق. وهذه مسألة معروفة، فإن المتخصص الدقيق بالتاريخ الأموي لن يكون قديرًا تمامًا على العمل في الساحة العباسية أو الأندلسية. والمتخصص الدقيق ـ مثلاً ـ في أدب صدر الإسلام لن يكون قادرًا على العمل في مجال الأدب الحديث، تمامًا، كما أن المتخصص الدقيق في الكيمياء العضوية ليس من مهمته الإلمام بدقائق وتفاصيل الكيمياء اللاعضوية. . وهكذا. . .

إن العمل في كل حقل من حقول المعرفة هو بالدرجة الأولى ذو طبيعة تكاملية، ولن تتم السيطرة عليه إلا من خلال حشد من المتخصصين الذين يمتلكون ناصية تخصصهم الدقيق، فضلاً عن رؤيتهم الإسلامية الأصيلة، وخلفياتهم الثقافية الشاملة.

القسم الأول

مدخل إلى إسلامية المعرفة

المُصطلح ... وَالضَّرورَات

تعني «إسلامية المعرفة» أو «أسلمة المعرفة» ممارسة النشاط المعرفي كشفًا وتجميعًا وتوصيلاً ونشرًا من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

وهي بهذه الصيغة تغدو منطقية تمامًا وفي إطارها الملائم، بحيث يبدو ما عداها خروجًا على القاعدة وتنافرًا مع طبائع الأشياء، خاصة إذا ما عرفنا أن لفظ (إسلامية) قد تمتد خارج دائرة الدين الإسلامي لكي تحتضن وتمس كل ما يتحرك في دائرة الإيمان الأصيل بوحدانية الله.

ممارسة منطقية.. إذا تذكرنا أن النشاط المعرفي هو إضافة أو تسليط العقل البشري، أو بعبارة أدق القدرات العقلية البشرية، على الظواهر المادية والحيوية والروحية والإنسانية في مدى الكون والعالم والحياة.

فإذا كان الله سبحانه هو الذي خلق الإنسان ونفخ فيه من روحه ومنحه قدراته العقلية والحسية والجسدية.. الخ.. وهو الذي خلق الكون والحياة وبث فيهما الظواهر والموجودات والحيوانات والأشياء، ومنحهما السنن والنواميس التي تنظم أمورهما، وأودعهما القوى والطاقات.. وهو الذي سخر هذا كله للإنسان، خليفته في الأرض، وهو الذي طالبه في كتبه المنزلة أن يتحرك لمتابعة الظواهر والكشف عن السنن، والإفادة من الطاقات لإعمار حياته في هذا العالم وجعلها تليق بمستواه كإنسان حملته الإرادة الإلهية في البر والبحر وفضلته على سائر الخلائق ومنحته السيادة على العالمين.

إذا تذكرنا أن الله جل في علاه، هو مبدع الكون الكبير، والمهيمن على أسراره ونواميسه وطاقاته الهائلة. . . وأنه هو ـ جل جلاله ـ فالق الحب والنوى، ومسير الرياح بشرًا بين يدي رحمته. . وحامل الجواري في البحر. . ومولج الليل في النهار. . ومكور الأرض. . ومُشْعِل النار في الشمس. . ومفجر النور في القمر. . وأنه جل جلاله باعث الحياة في الطين اللازب. . وأنه قيوم السماوات والأرض، لا تعزب عنه مثقال ذرة هنا أو هناك. . وأنه ما من ورقة ولا رطب ولا يابس، ولا حبة من خردل في صخرة أو في ظلمات الأرض إلا وهو يعلمها سبحانه.

إذا تذكرنا هذا كله، وتذكرنا معه لحظة انطلاق آدم عليه السلام إلى العالم وقد عُلِّم الأسماء كلها لكي يمارس مهمته فيه. . عرفنا أنّ تعامل الإنسان مع الوجود من حوله كشفًا وتنقيبًا وتعلمًا وتعليمًا ونشرًا وتوصيلًا. . . أي نشاطه المعرفي عمومًا. . لا بد أن يتشكل في إطاره الإيماني الصحيح لكي ينسجم مع الناموس.

إن قطبي التعامل: الإنسان والكون، هما من صنع الله الذي أتقن كل شيء. . . فمن الطبيعي إذًا أن تتشكل مفردات هذا التعامل من منظور الإيمان بالله خالق الكون والحياة والإنسان. . وكان من الطبيعي أن تسلم المعرفة بهذه الحقيقة الكبرى، أي أن تكون «إسلامية» بهذا المعنى الواسع الذي يضع الأمر في نصابه من نطاق الملكوت الإلهي وسننه ونواميسه.

إن هذه «الإسلامية» لا تنسحب فقط على ما يسمى بالعلوم الصرفة (المحضة) والتطبيقية في التعامل مع الوجود، وإنما تمتد بالضرورة إلى ما يعرف بدائرة العلوم الإنسانية، بل أنها في هذه أشد ضرورة لأنها المعنية بترتيب وضع الإنسان في العالم وتنظيم حياته بما يجعله قديرًا على تحقيق مهمته في العالم.

ومن ثم تغدو هذه العلوم التي تعالج الإنسان فردًا، كعلم النفس مثلًا، وتلك التي تعالجه جماعة كعلم الاجتماع والتاريخ، أو تلك التي تستهدف دراسة وتنظيم مؤسساته العامة كعلوم الإدارة، أو ضبط نشاطه المعاشي كعلوم الاقتصاد، أو تنسيق علاقاته العامة كالعلوم السياسية، أو حماية حقوقه وتنظيم واجباته كالقوانين

والتشريعات، أو متابعة رؤيته الجمالية ونشاطه التعبيري كالآداب والفنون.

تغدو هذه العلوم جميعاً في حاجة إلى أن تتشكل هي الأخرى في دائرة «الإسلامية» وأن تستمد مناهجها وطرائق عملها، بل أن تبني مفرداتها من نسيج المعطيات الدينية التي حددها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ونمّاها النشاط الفقهي بمرور الزمن عن طريق استجابته للتحديات ومتابعته للمتغيرات الزمنية والمكانية، وذلك من أجل أن تصبح الحياة البشرية، بمختلف أنشطتها وصيغها، إسلاميّة التوجه، إسلامية الممارسة، إسلامية المفردات، ويتم بذلك تجاوز كل ما من شأنه أن يقود إلى الثنائية أو الازدواج بين التوجيه الإلهي ذي العلم المطلق وبين اجتهادات الإنسان النسبية المتضاربة.

إن «إسلامية المعرفة» ها هنا لا تعني فقط الدعوة لتحقيق الوفاق بين معطيات العلوم الإنسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق، وإنما تعني، قبل هذا وبعده، احتواء كافة الأنشطة المعرفية الإنسانية على المستويين النظري والتطبيقي معًا ن أجل جعلها تتحقق في دائرة القناعات الإيمانية وتتشكل وفق مطالبها وتصوراتها الشاملة أسوة بالعلوم الأخرى.

تعد «أسلمة المعرفة» ضرورة على أكثر من مستوى، ويمكن حصر هذه المستويات بالمجالات الرئيسية الأربعة التالية:

(أ) الضرورة العقيدية

إن هذا الدين يحمل منذ البدء، وكما هو بيّن من اسمه، توجهه الواضح الحاسم: الإسلام لله رب العالمين.. لإرادته.. لكلماته.. لأوامره.. لنواهيه.. لسننه ونواميسه في الكون والعالم والحياة.. وهو يضع الإنسان، والجماعة المؤمنة، بناء على ذلك، في حالة وفاق مع السنن والنواميس، لا ارتطام بها أو تضاد معها. وهذا يقتضي بطبيعة الحال معرفة هذه السنن والنواميس بأسرارها وتكويناتها. ودقائقها، للتحقق بالوفاق المرتجى الذي يتأتى عنه المزيد من التقدم والإنجاز والسعادة والرفاهية بالتالي، الأمر الذي يحرر الإنسان المؤمن من الضرورات ويمكنه

أكثر فأكثر من تنفيذ مطالب الإيمان العليا.

إن معرفة كهذه أريد لها أن تنفذ أحد المقومات الأساسية للمنظور الإسلامي، لا بد أن تتشكل في دائرة الإيمان، أو أن يعاد تركيبها ثانية من منظور إيماني.

وسواء كان النشاط المعرفي إنسانيًا، أم علميًا صرفًا، أم تطبيقًا، فليس ثمة ما يعيق من تنفيذه في دائرة الإيمان، وإذا ما حدث أن ندّت بعض المعطيات العلمية في هذه المجالات عن المسلمات الإيمانية فما ذلك إلا لوجود خلل ما في مصداقية هذه المعطيات أو في مناهجها أو في طرائق التعامل معها.

إن الدين الذي يبدأ كتابه الكريم بكلمة «اقرأ» لا يمكن أن يكون إلا دينًا معرفيًا، أي أن يفتح صدره للنشاط المعرفي على مستوى الكون والعالم والوجود لتأكيد القناعات الإيمانية من جهة ولتعميق الوفاق بين الإنسان المؤمن وبين العالم الذي يتحرك فيه.

وعلى خلاف جميع المذاهب والأديان فإن الإسلام قَبِلَ التحدي منذ اللحظة الأولى، بل أنه دعا إليه، أي أنه جعل محاولة اكتشاف سر العالم على المستويين المعنوي والمادي عملاً من أعمال التقوى بل مطلبًا رئيسيًا من مطالبها.

ويمكن كذلك أن نلحظ تبادلاً مزدوجًا من التأثر والتأثير بين العقيدة والمعرفة في المنظور الإسلامي، الأمر الذي يؤكد ضرورة أن تتشكل المعرفة في إطار إسلامي. فالعقيدة كما مرّ بنا تطالب بالنشاط المعرفي بل تأمر به، وهذا النشاط المحفّز بدوافع الإيمان يقود بدوره إلى تعزيز الرؤية الإسلامية بإضاءتها بالمزيد من القيم المعرفية، ويمنحها المزيد من وسائل القوة والتحقق والانتشار والتماسّ مع العالم.. أي أن «أسلمة المعرفة» ضرورة عقيدية باتجاهين أساسيين، فأما أولهما، فهو إعانة المسلمين في العالم على مزيد من فهم وإدراك نسيج دينهم الذي ينتمون إليه، فتزداد قناعاتهم بأحقية هذا الدين في قيادة الحياة البشرية في ضوء المعطيات المعرفية التي تتكشف بالضرورة عن هذا الكسب الكبير. وأما ثانيهما فهو تمكين المسلمين في العالم من التحقق بالقوة المادية وتطوير حياتهم المدنية بما يمنحهم مكانة مناسبة في هذا العالم،

ويمكنهم من مجابهة ضغوط الغير وتحدّياتهم.

وحيثما تلفتنا وجدنا «أسلمة المعرفة» تمثل ضرورة عقيدية، وهذا الذي ألمحنا إليه لا يعدو أن يكون مجرد تأشيرات على هذه الحقيقة التي يمكن أن يقال فيها الكثير.

(ب) الضرورة الإنسانية

وهي تنبثق كما هو واضح عن سابقتها. فإذا كان هدف العقيدة تكوين الإنسان المؤمن المتبصر المتوازن السعيد، فإن النشاط المعرفي المنضبط بالرؤية الإيمانية يجيء إعانة على تحقيق هذا الهدف. ونحن نستطيع أن نتصور القيمة الحقيقية لنشاط كهذا بمجرد أن نتذكر ما الذي فعلته المعرفة اللادينية بالإنسان والجماعات البشرية.

ليس هذا مجال الحديث عن هذه المسألة وإنما التأشير عليها فحسب، فإن ما يعانيه الإنسان في البيئات التي رفضت الإيمان، أو عزلته عن مجرى الحياة الواقعية، من تعاسة وازدواج وتمزق وشقاء نفسي وروحي وعاطفي واجتماعي، رغم ارتفاعات منحنيات الإنجاز المادي، أمر ملحوظ ينطق به واقع الحال هناك، وتؤكده شهادات المفكرين وإعلامهم الذي يمكن للمرء أن يلتقي به صباح مساء في عصر التواصل السريع.

ثمة مسألة أخرى ترتبط بالضرورة الإنسانية لأسلمة المعرفة تلك هي أن النشاط المعرفي المنبثق عن مطالب الإيمان اندفع باتجاه اغراءات القوة والتسلط، ونداء الأثرة العرقية والدولية والمذهبية ومضى أبعد من هذا، باتجاه كل ما هو لا أخلاقي في السلوك البشري، لكي يحول المنجزات والكشوف العرفية إلى سلاح يشهر بوجه الإنسان، وليس لصالح الإنسان.

إن إنتاج القنابل الذرية والهيدروجينية والنيوترونية، واستعمالها في اللحظات الصعبة ـ كما حدث في هيروشيما وناغازاكي ـ ليؤشر بشكل واضح على الكارثة التي يمكن أن يساق إليها الإنسان والبشرية إذا أتيح للمعرفة أن تظل على جموحها، على خروجها عن مطالب الإيمان العليا، على عدم انضباطها بالقيم والموازين الإلهية العادلة التي تجعل القوة والحكمة ـ دومًا ـ في كفتي ميزان.

هذا إلى أن المعرفة المؤمنة، على خلاف المعرفة اللادينية أو الملحدة، تسعى لأن تمنح أكلها للناس كافة، لا تحكمها أثرة الحفاظ على السرّ، وحجب الاكتشاف ـ بدافع «براغماتي» ـ عن الآخرين.

إن تجربتنا التاريخية علمتنا كيف تكون المعرفة المؤمنة سخية العطاء، إنسانية المنحى، بمعنى أنها تسعى لأن تخدم البشرية جمعاء بغض النظر عن حواجز اللون والعرق والجغرافيا بل وحتى المذهب والدين.

إن الإنسان، مطلق إنسان، هو المستفيد في نهاية الأمر من المعرفة المؤمنة، وبالمقابل فإن عشرات من الأمم والجماعات والشعوب لم تحرم بالمعرفة اللادينية من حقها المشروع في الإفادة من ثمار هذه المعرفة، فحسب، وإنما وجهت نتائجها وكشوفها إلى أسلحة فتاكة لتدمير هذه الجماعات أو استعبادها والهيمنة على مقدراتها.

(ج) الضرورة الحضارية

إن تقليد العلم الغربي أو استيراده لا ينشيء حضارة، أو يعيد بناءها بعد تفككها ودمارها.. إن هذا «يصنع» في أفضل حالات نجاحه عالماً ثالثًا يدور في فلك حضارة الغير. قد يتقدم في سلم المدنية (المادية) لكنه على المستوى الحضاري لا يملك خرائطه الثابتة المتميزة على سطح الكرة الأرضية.

إن اليابان والصين مثلاً، إذ قَدَرَتا على تجاوز المرور في هذه القناة الضيقة، خرجتا من معركة التحدي وهما أكثر أصالة وتحضرا.. وهما تملكان في عالمنا المعاصر ثقلهما وحضورهما وتميّزهما الملحوظ.

ماذا حدث بالنسبة لتركيا الكمالية سوى أنها أصبحت حتى في منظور الغربيين أنفسهم مثلاً يضرب للتندر على أولئك الذين يحاولون اللحاق بالغير والتفوق عليه، وهم يتعاطون الكدية منه، ويقلدونه صباح مساء متنازلين عن كل ما له مساس بشخصيتهم وأصولهم الحضارية؟!

إن أسلمة المعرفة، من خلال هذا التحليل الموجز، تبدو ضرورة بالغة لأنها

ستتجاوز بمسلمي اليوم والغد إحدى اثنتين قد تأتيان عليهم كأمة متميزة: الذوبان في الغير، أو العزلة الكلية عن الاستفادة من تقدمه.

هاهنا، وعندما يتاح لهذه الأمة أن تمارس نشاطها في دائرة الإيمان، فإنها ستعرف كيف تنتزع النار المقدسة من الآخرين ولكن لا لكي تحرق بها العالم أو تدمر بها نفسها بإغراء التكاثر والتكديس، ولكن لكي تبني بمفردات المعرفة المنضبطة بمطالب الإيمان. بل إنها قد تمضي لكي تستعيد دورها المنسيّ: إعادة بناء العالم بالمعرفة المتبصرة بالإيمان، المستمدة من هدى الله سبحانه..

(د) الضرورة العلمية

إن النشاط العلمي ينبثق في معظم الأحيان عن رغبة في الكسب أو طموح شخصي إلى الاكتشاف والتفوق. فإذا وسعنا دائرة التحليل صوب الجماعات، فإن النشاط العلمي يتخذ غالباً وسيلة للتحقق بالنمو الاقتصادي والعمراني والاستراتيجي وبالقوة المسلحة.

وهذه كلها دوافع قد تكون مبررة خاصة وأنها حادت بالفعل إلى المضي بالحركة العلمية صوب آفاق لم تخطر ببال الإنسان، وتمخضت عن نموّ اقتصادي وعمراني مذهل وعن تفوق للقوة يكاد يكون من قبيل السحر والخوارق.

لكن ماذا لو أضفنا إلى هذا كله، أو قبل هذا كله الدافع الإيماني باعتباره الدافع الأكثر إلحاحاً وإلزاماً للنشاط العلمي الذي يجعل من سعي الإنسان في العالم ضرورة أو فريضة يتقرب بها إلى الله؟ ويتحتم على أولئك الذين يملكون قدرة ما في نطاقها أن يواصلوا السعي لمزيد من الاكتشاف، وبالتالي لمزيد من التحقق بالنمو والقوة اللتين يأمر هذا الدين بالأخذ بأسبابها كشرط حاسم للتحول بالإيمان من مواقع العزلة والانفصال إلى مراكز الاندماج والاندغام في هذا العالم من أجل أن تكون كلمته فيه هي الكلمة التي لا رادَّ لها.

إن «أسلمة المعرفة» تعني، وفق هذا التحليل، منح النشاط العلمي، على

مستويي الكم والنوع، وقودًا جديدًا يدفعه للمزيد من الاشتعال والتألق اللذين يكشفان عن الحقائق.. يضيئان السنن والنواميس.. يشيران إلى مصادر القوة والطاقات المذخورة التي طالما أشار إليها كتاب الله ودعا المسلمين إلى تمزيق الستار الذي يحجبها، وإخراجها للناس كي تمنحهم الخير الوفير.

الحلقات الأساسيّة للمعرفة وعلاقتها بالإسلاميّة

قد يبدو للوهلة الأولى أن العلوم ليست في طبيعة علاقتها بالإسلامية، أي في قدرتها على تقبل إعادة صياغتها من منظور إسلامي، وإذا كانت العلوم الإنسانية أو بعضها ـ على الأقل ـ قابلة للأسلمة بحكم توجهها الإنساني والتقائها في الهدف النهائي بالمهمة الدينية من حيث أنها ـ في الإسلام ـ محاولة لتنظيم الحياة، فإن العلوم المحضة والتطبيقية قد لا تكون ذات مساس بالمهمة من قريب أو بعيد.. وحتى إذا كانت هناك بعض الموضوعات العلمية الصرفة ذات علاقة ما، فإن أغلب الموضوعات الأخرى تفتقد كل ما من شأنه أن يعقد صلة ما بينها وبين الإسلامية.

ويستطيع المرء أن يحكم على خطأ تصنيف كهذا إذا تذكر أن الأسلمة لا تعني ـ ابتداء ـ تحكمًا بالمعادلة الرياضية أو الكيميائية ولا تدخلًا لصياغة القانون الطبيعي أو الحياتي.. وتعديلًا لنظرية في الذرة، أو اقتحامًا فجًا للمختبر.

أبدًا، فإن هذه الأنشطة العلمية إنما هي مسائل حيادية سواء عملت في ظل توجيه مادي، أو علماني أو مؤمن.. إنما مجموعة التقاليد العلمية المرتبطة بهذه الأنشطة، وطبيعة ارتباطها، بالتوجه العام للنشاط العلمي والثقافي، وتوظيف النتائج النظرية والتطبيقية المترتبة عليها، هي الأمور الأساسية المعنية بأسلمة علوم ومعارف كهذه.. ومن ثم يبدو واضحًا أنه لا الكيمياء ولا الفيزياء ولا الرياضيات أو علم طبقات الأرض.. الخ. يمكن أن تندّ عن محاولة الأسلمة.

ويكفي أن نتذكر ما كان يفعله أجدادنا من قدامى العلماء وهم يصنفون

مؤلفاتهم في هذه الفروع.. كيف أنهم كانوا يبدأون باسم الله وعلى بركته.. وينتهون بالتوجه بأعمالهم إلى الله.. وكيف أنهم كانوا يعودون، للتذكير، مرة بعد مرة، بأن ما يعملونه، والحقائق التي يتوصلون إليها، والمسلمات التي يصوغونها إنما هي بفضل من الله، وقطرات من بحر علمه اللدني الذي لا تنفد كلماته.

لكن الأمر، بالتأكيد، لا يتوقف عند هذا الإطار الإيماني في طرح المعطيات العلمية، فها هنا قد يقول قائل بأن المسألة في عمومها لا تعدو أن تكون من قبيل المسائل الإجرائية التي لا تمس جوهر الموضوع. ولكننا نستطيع أن نمضي قدمًا فنتذكر كيف أن الرياضيات والطبيعيات والجيولوجيا وما سواها. يمكن أن توظف، وقد وُظِّفت فعلاً، كأسلحة مضادة للإيمان (الأمر الذي شهدته ولا تزال الساحة الأوروبية بجناحيها الغربي والشيوعي لأسباب تاريخية وأيديولوجية ليس هذا أوان التأشير عليها أو الوقوف عندها) ويمكن أن توظف كذلك لتعزيز مواقع الإيمان في العالم، كما نلحظ مثلاً التقاليد العلمية لحضارتنا الإسلامية أيام تألقها وعطائها.. إذا تذكرنا هذا كله عرفنا ـ يقينًا ـ أن المسألة لا تقف عند المسائل الإجرائية وإنما تمضي قدمًا، بأكثر من صيغة في التعامل، لجعل النشاط العلمي الصرف يتحرك في دائرة الكفر أو الإيمان.. أي يخضع لمطالب الأسلمة بعبارة أخرى.

وما يقال عن العلوم الصرفة يمكن أن يقال عن العلوم التطبيقية التقنية فإن الأمر هنا أيضاً لا يقف عند الحدود الإجرائية والشكلية للنشاط التطبيقي وإنما يمضي باتجاه طرائق التوظيف والتعامل.. وقد تكون المسألة أكثر وضوحًا وتجسدًا منها في دائرة العلوم الصرفة.

«فالتلفزيون» أو «السينما» مثلاً أداتان قد تحققان نتائج ذات أهمية بالغة لدائرة الكفر أو الإيمان... هذه مسألة بديهية لأنها محسوسة منظورة. ونستطيع أن نتذكر كذلك كيف أن إحدى معضلات الأنشطة التنموية في عالم الإسلام في معظمها انصرفت إلى نقل تقنيّة الآخرين واقتباسها، دونما تحوير أو تعديل بما ينسجم والمطالب والضرورات، بل والمفردات الإسلامية. إن مجرد الإقرار بوجود خطأ كهذا يعني بالمقابل أن بمقدور النشاط التنموي أن ينحو منحى آخر فيوظف المسألة توظيفًا

إيمانيًّا، ويحاول، جهده، أن يجعل التقنية تعين على التحقق بمطالب الحياة الإسلامية، لا أن تكون سلاحًا مضادًا يشهر بوجهها.

هذه مسألة قيل فيها الكثير، وهي تحتمل المزيد من القول ولكن ليس على صفحات كهذه، مهمتها التأشير فحسب على الخطوط العريضة للمطالب الأساسية للأسلمة.

فإذا ما عدنا إلى دائرة العلوم الصرفة فإن علينا، بالمقابل، أن نقر بنوع من التفاوت بين علم وعلم بصدد طبيعة الارتباط بعملية الأسلمة.

فإن علوم الطبيعة والفلك والحياة قد لا تحتاج إلى تأمل كبير لتبين مدى مقاربتها للعملية بحكم ارتباط نتائجها الأساسية بالمنظور الفكري للخلق والعالم والحياة والوجود، وهي ذات المسائل التي يعنى بها الدين ويقدم بصددها شبكة معطياته الخصبة المتشعبة.

وإن علومًا كالهندسة المدنية أو الجبر أو المثلثات أو الرياضيات عمومًا، وكذلك علوم الإحصاء والكيمياء، وربما طبقات الأرض (الجيولوجيا) قد لا ترتبط بالعملية ارتباطًا مباشرًا لأنها لا تتضمن خلفيات أو، ربما نتائج ذات مساس مباشر بال[illegible] التصور الفكري.

وهنا نرجع إلى ما سبق وأن ذكرناه قبل [illegible] من أن الإطارات الإجرائية لطرح هذه العلوم كشفًا وصياغةً وتو[illegible].. وتوظيف بعض النتائج ذات التأثيرات الفكرية، قد تضاعف [illegible] هذه في موضعها الإيماني الصحيح المنسجم مع شبكة الأسلمة [illegible] جميعًا.

ومهما يكن من أمر فإننا بمجرد متابعة ما يريد القسم الثالث لمحاولة كهذه، أن يقوله بصدد المنظور القرآني للعلم، بحلقاته كافة، سيتبين لنا أنه ما من فرع من فروع هذا العلم، أو موضوع من موضوعاته، إلّا ويرتبط، بشكل أو بآخر، بالمنظور القرآني المرن الشامل الذي يتسع للمسألة العلمية في جميع توجهاتها: أهدافًا ومنهجًا وحقائق وتطبيقًا..

وقبل الانتقال في هذا القسم فإنه لا بد من الإقرار بأن حلقة العلوم الإنسانية (كالتاريخ والاجتماع والنفس والقانون والاقتصاد والسياسة والإدارة والآداب والفنون. . الخ) ستكون هي المعنية أولاً بعملية إسلامية المعرفة، بحيث تستحق أن تمنح الأولوية، بسبب من ارتباطها الوثيق بالمنظور الفكري والأخلاقي، وبسبب من أنها، إلى حد كبير، كانت ولا تزال بمثابة البوابات أو القنوات الكبرى التي تَسَرَّبَ منها الخلل والتضارب والفوضى وثنائية التوجيه وضُيِّق الخناق على المعطيات الإسلامية، أو دُفن عليها في أقل تقدير. . وعبر جهود أجيال بكاملها من العلماء والباحثين في هذه الفروع، كانت تساندها، في معظم الأحيان، سلطات ومؤسسات وهيئات لا يكاد يحصيها عد. . بل إنّ دولاً كبرى رمت بثقلها بين الحين والحين في خضم هذا التيار.

ومن ثم، فإن لنا أن نتصور الحجم الكبير للجهود الإسلامية التي يمكن أن تعيد الأمور إلى نصابها الحق في هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة الإنسانية، والأولوية التي يمكن أن تمنح لمعطياتها الهائلة كمًّا ونوعًا. وهي أمور لا يقدر عليها أفراد أو متخصصون في هذا الفرع أو ذاك، وإنما هي بحكم تشعبها، وتجذرها العميق في شبكة التصورات الخاطئة والمحاولات المضادة. . عمل جماعي، أي عمل مؤسسات وهيئات تتطلب قدرًا كبيرًا من التنسيق والدعم العلمي والمادي، كما تتطلب قدرة متزايدة على تجاوز العوائق الجغرافية في محاولة لِلَمّ جميع الطاقات التخصصية الإسلامية وتوحيدها لإرفاد المحاولة الصعبة والاقتراب بها من حافة النجاح والتوفيق.

ولعل ما شهدته بداية الثمانينات من قيام مؤسستين فعّالتين في هذا المجال وهما: المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي يتولى ـ بمعاونة فروعه كافة ـ كِبْر المحاولة، على النطاق العام. ورابطة الأدب الإسلامي التي تتولى المهمة في دائرة الأدب ذي التأثير البالغ في النشاط الثقافي العام. لما يبشر بالخير الأكيد لكل من يحمله الأمل إلى اليوم الذي سترجع فيه المعرفة البشرية لكي تعانق الدين، ويعود العلم فيه، بعد رحلة تغرب وانقطاع، إلى ساحة الإيمان. . لكي يأوي إليها. .

القرآن والعلم الحديث

إن الذي يقرأ كتاب الله الكريم بتمعن، في محاولة للإلمام بطبيعة موقفه من العلم، يجد نفسه أمام حشدٍ من الآيات البينات ممتدة وفق أبعاد أربعة توازي المسألة العلمية في اتجاهاتها كافة، يتناول أولها مسائل تتعلق بحقيقة العلم وآفاقه وأهدافه، فيما يعرف بفلسفة العلم ونظرية المعرفة، ويتناول ثانيها منهج الكشف عن الحقائق العلمية المختلفة، ويعرض ثالثها لمجموعة من السنن والقوانين في مجالات العلم المختلفة، وخاصة الطبيعة والجغرافيا وعلم الحياة، فيما يسمى بالعلوم المحضة أو الصرفة، ويدعو رابعها لاستخدام هذه السنن والقوانين التي كشف عنها منهج تجريبي في البحث، من أجل ترقية الحياة وتنميتها على طريق خلافة الإنسان لإعمار العالم، فيما يعرف بالعلوم التطبيقية (التقنية).

وما من شك أن هناك ارتباطًا وثيقًا ومحكمًا بين هذه الأبعاد، يقود أحدهما إلى الآخر، فالفلسفة تحلل أهداف العلم، والمنهج يطرح طريقة عمل للكشف عن الحقائق: السنن والنواميس التي تحكم الكون والعالم والحياة وتحمي صيرورتها الزمنية ذات النظام المعجز. . . وهذه السنن والنواميس تمنح الإنسان ـ بدورها ـ المعادلات التي يمكن بها من أن يدخل إلى صميم التركيب المعجز هذا لبنية الكون والعالم والحياة من أجل اعتماد تلك السنن والنواميس لتنفيذ قدر من التطبيقات العلمية تمضي بالحضارة البشرية قدمًا صوب الأحسن والأرقى، وتتيح للإنسان أن يتحرر من شدّ الضرورات لكي يكون أكثر قدرة على رفع رأسه إلى فوق ومحاورة السماء وتلبية حاجاته الروحية التي بها يتميز الإنسان عن سائر الخلائق ويتمكن من تنفيذ أكثر امتدادًا لمقتضيات خلافته العمرانية في العالم.

صحيح أن القرآن الكريم ما جاء لكي يكون كتابًا علميًا، كما هو معروف، وما جاء لكي يكون كتاب جغرافيا أو تاريخ أو أيًا من حقول المعرفة المتنوعة. وصحيح أن إلحاح بعض المفكرين المعاصرين على تحميل آيات الله معاني وتفاسير (علمية) لم تقصد إليها البتة، قد دفع بعضهم الآخر، وبردّ فعل يتميز بالإلحاح نفسه، إلى نفي أن تكون للقرآن أية صلة بأيّ حقيقة علمية. فالأمر الذي لا ريب

فيه هو أن كتاب الله عالج مسألة العلم بطريقة مركبة تمتد إلى جميع الأبعاد بما لا يقبل لجاجة أو إنكارًا.

وأنه لأمز بديهي أن تتعانق معطيات القرآن ومعطيات العلم (بمفهومه الشامل وخارج نطاق النسبيات والمتغيرات) وتتوازيان، لا أن تتضادا وتقوم بينهما الحواجز والجدران. ذلك أن مصدر العطاء واحد، وهو الله جل وعلا موجد السنن والنواميس، ومنزل القرآن.. خالق الكون والعالم وباعث الإنسان. ليس هذا فحسب، بل أن الإنسان باعتباره مَعنيًّا بإيجاد السنن ونزول القرآن، الإنسان بما أنه خليفة الله في هذا العالم، ويده المريدة التي تسعى لإعماره وترقيته، كما تؤكد المعطيات القرآنية، يقود بالضرورة إلى هذا اللقاء الأكيد بين كتاب الله وسننه في العالم، إذ كيف يستطيع الإنسان أن يؤدي دوره في العالم، في إطار تعاليم القرآن وشرائعه، إن لم يتحرك ـ ابتداء ـ لفهم هذا العالم والكشف عن سننه ونواميسه؟

وثمة ما يجب أن نشير إليه هنا: إن العلم الحديث لم يعد يرفض الحقيقة الدينية أو يشكك فيها، كما حدث في القرون السابقة، وهو يعترف بأنه ليست لديه الكلمة النهائية في موضوع هو أكبر من حجمه بكثير.. ثم يعود لكي يؤكد ـ بإمكاناته المحدودة ـ أن الحياة البشرية لا تستحق أن تعاش إذا ما نحن جردناها من بُعدها الكبير الذي يتجاوز حدود المادة والحركة.. يعود العلم لكي يتعانق مع الدين ويتوظف لديه.. ذلك هو الانقلاب الكبير الذي شهدته فلسفة العلم المتمخضة عن الكشوف الأخيرة في مجال البحث العلمي، وبخاصة الطبيعة والذرة وطريقة عمل الدماغ البشري.

هناك مسألة أخرى لا تقل خطورة وهي إن الكشوفات العلمية الأخيرة حطمت جدار المادة، وأطلت ـ وهي تتوغل في صميم الذرة ـ على عالم الروح الكامن في بنية العالم وتركيب الأشياء. إن العلم يلتقي هنا مع الدين، مرة أخرى، والحقائق كثيرة، وقد ناقشناها في كتابنا (العلم في مواجهة المادية) ويكفي أن نحيل القارىء إليه.

والآن فإننا سنتابع ـ بالقدر المطلوب من الإيجاز ـ طبيعة العلاقة بين اتجاهات

العلم الأربعة من جهة وبين معطيات القرآن الكريم من جهة أخرى. ويمكن لمن أراد الاستزادة أن يرجع إلى كتابنا (مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم)[١].

أولاً: فلسفة العلم وأهدافه والمبادىء الإسلامية الأساسية

تعنى فلسفة العلم بتفحص وتحليل الأهداف التي يسعى لتحقيقها، وطبيعة ارتباطها بأنشطة الإنسان الحضارية من جهة، وبرؤيته للكون والحياة والعالم من جهة أخرى. وعلى ذلك يبدو البحث العلمي، ومناهجه التجريبية في الكشف والتطبيق ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية وليست مسألة كمالية أو أمرًا ثانويًا. ذلك أنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بنشاط الجماعة المسلمة، وبطبيعة مهمتها في العالم، وبعقيدتها الشاملة عن الكون والحياة والعالم والإنسان.

ونستطيع ـ هنا ـ أن نؤشر على عدد من المبادىء الأساسية في الحياة والرؤية الإسلامية، تحتم اعتماد طرائق العلم ومناهجه، والإفادة من السنن والنواميس التي تكشف عنها الحقائق التي تصل إليها، والتطبيقات التي تتمخض عن هذا وذاك. تحتمها لأنها تسهم إسهامًا أكيدًا في (تعزيز) هذه المبادىء وتأكيد عناصر تلك الرؤية الشاملة، وتساعد على السير بها صوب مزيد من التنفيذ في أرض الواقع، والتحقق في مجرى الفعل الحضاري:

١ ـ مبدأ الاستخلاف

إن مبدأ الاستخلاف الذي يطرحه الإسلام في كتابه وسنة رسوله ﷺ هو واحد من هذه المبادىء التي يرفدها العلم ويمكن لها في الأرض.

إن الإنسان المسلم هو خليفة الله في الأرض، بعث لتطويره وإعماره، وتذليل صعابه والاستجابة لتحدياته، من أجل تسوية أرضيته كي تكون أكثر ملاءمة لحياة

---

(١) وسيجد فيه ـ كذلك ـ كافة الاستشهادات القرآنية لكل موضوع من الموضوعات والتي لم يتح المجال لإيرادها في هذه الصفحات الموجزة.

مطمئنة تعلو على الضرورات، بعد أن تتحرر منها، وتكون أكثر قدرة على التوجه إلى أعلى، إلى خالقها جل وعلا، دون أن تنكس رؤوسها أو تحني ظهورها ثقلة الجاذبية أو ضرورات التراب.

وهكذا فإن تنفيذ مهام الاستخلاف ومنحها الضمانات الكافية وإعانتها على تحقيق أهدافها في التقدم الدائم، لن يتأتى بدون اعتماد طرائق البحث العلمي ومناهجه للكشف عن سنن العالم والطبيعة ونواميس الكون من أجل الإفادة من طاقاتها المذخورة وتحقيق قدر أكبر من الوفاق بين الإنسان وبين محيطه. وبدون هذا فإن مبدأ الاستخلاف لن يكون بأكثر من نظرية أو عقيدة تسبح في الفراغ.

٢ ـ مبدأ التوازن

ثمة ذلك المبدأ الأساس من مبادىء الحياة والفكر الإسلامي: التوازن بين الحاجات الروحية والمادية. وهي مسألة عميقة في نسيج القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ بحيث نراها تأخذ أكثر من اتجاه وتتلبس أكثر من شكل. ولطالما غفلنا عن واحدة من أشد البديهيات وضوحًا في هذا المجال، وهي أن الله سبحانه ما دام قد سخّر لنا الأرض بما ينسجم ودورنا في العالم فإن من التناقض الفاضح، المرفوض في الإسلام قطعيًا، أن يركّب الإنسان ـ من قبل الله سبحانه ـ تركيبًا معينًا، وأن تسخر الأرض ـ بإرادة الله سبحانه ـ لتلبية متطلبات هذا التركيب، ثم تجيء الأديان ـ من عند الله أيضاً ـ لكي تفصل بين الروحي والمادي وتجنح باتجاه الأول، ولكي تنصب الحواجز وتقيم الأسلاك الشائكة بين مطالب التركيب الآدمي وبين خيرات الأرض ومنافعها المسخرة.

وما دام الأمر كذلك... ما دام أنه لا حياة إسلامية بمعنى الكلمة إن لم يتحقق ذلك التوازن العادل بين طرفي التكوين الإنساني، بل في نسيج التكوين الإنساني بشكل أدق، وما دام قد أريد للتجربة الإسلامية أن تتحرك على أرض الواقع وتصوغ إنسانًا متوازنًا قديرًا على الفعل والتغيير والحركة، غير متأزم أو جانح أو مكبوت، فلا بد من طرائق العلم وحقائقه وتطبيقاته لتنفيذ هذه الرؤية (التعادلية)

التي لا تجدها في أي مذهب أو عقيدة أخرى في هذا العالم بهذا القدر من الشمولية والالتزام.

٣ ـ مبدأ التسخير

وهو ملمح أساسي آخر من ملامح الرؤية الإسلامية للكون والحياة، يحتم ولا ريب اعتماد العلم لتحويله إلى أرض الواقع والتحقق بعطائه الكريم.

إن العالم والطبيعة، وفق النظرة الإسلامية، قد سُخِّرا للإنسان تسخيرًا، والله سبحانه، قد حدد أبعادهما وقوانينها ونظمها وأحجامها بما يتلائم والمهمة الأساسية لخلافة الإنسان في العالم وقدرته على التعامل مع الطبيعة تعاملاً إيجابيًا فاعلاً.

ولقد أراد الإسلام أن يطرح طريقًا أو منهجًا وسطًا بصدد هذا التعامل فأعلن للبشرية مبدأ تسخير الطبيعة لخدمة الأهداف الإنسانية ولكنه، في الوقت نفسه، يضبط صيغ التعامل بين الطرفين بقيم ومبادىء وأعراف تحقق أقصى درجات التكشف والإبداع، وتنشئ أكثر الصيغ الحضارية ملاءمة لطموح الإنسان وأخلاقياته ومكانته في الكون.

وأنه بدون اعتماد قدرات العلم، منهجًا وحقائق وتطبيقًا، فلن يكون بمقدور أية جماعة إسلامية أن تنفذ مبدأ التسخير وأن تحوله إلى فعل تاريخي متحقق.

٤ ـ مبدأ الارتباط المحتوم بين الخلق والخالق

تبقى، أخيرًا، ضرورة اعتماد العلم للتحقق من واحد من أهم المبادىء في المنظور الإسلامي، والديني عمومًا، وهو الارتباط المحتوم بين نظام الخلق المعجز ووجود الخالق سبحانه. إن العلم هو الأداة التي تكشف عن هذا الارتباط، وتضيئه وتزيده إيضاحًا. ولقد كتب الكثيرون عن معجزة الخلق، وقطع حشود من العلماء أعمارهم بحثًا وتنقيبًا فانتهوا إلى إحدى المسلمات الكبرى في تاريخ العلم: أنه لا بد للخلق من خالق.. مسألة محسومة لا تقبل لجاجة ولا إنكارًا.. إن الخلق ما دام على هذه الدرجة من النظام والضبط والدقة والتوافق والحركة المرسومة والهدف المقصود

والارتباطات الهادفة. . فلا بد أن يكون صادرًا عن إرادة فوقية قادرة مدبرة. . إنها مسألة محسوسة برياضيات العلم ومعادلاته. . والشواهد كثيرة، والنتائج التي يتمخض عنها السعي العلمي الجاد لا تعدّ ولا تحصى. وسوف يكون من قبيل التكرار لو اقتبسنا هنا نصوصًا للنتائج والشهادات والأقوال.

وعلى هذا فإن البحث العلمي يعد ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية، ما دام يمارس هذه الوظيفة الخطيرة في الكشف عن سر الكون والحياة، ويقود إلى صانع الكون والحياة وفق أشد الطرائق إقناعاً ولأنه يلتقي مع العبادة نفسها في التوجه إلى الخلّاق العظيم.

ثانياً: المنهج

في هذا الاتجاه يطرح القرآن الكريم منهج عمل في الكشف عن سنن العالم والحياة، ونواميس الكون، وهو منهج شامل مرن لا يخضع لتقلبات الزمان والمكان لأنه مجرد طريقة أو أداة للبحث والتنقيب، ومن ثم فإنه يعلو على المتغيرات النسبية ويظل ساري المفعول في أي عصر وفي أية بيئة.

لقد دعا القرآن الناس إلى التبصّر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق (النظر الحسي) إلى ما حولهم، ابتداء من مواضع أقدامهم وانتهاء بآفاق النفس والكون. . وأعطى الحواس مسؤوليتها الأساسية عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة والتجريب. . وناداه أن يمعن النظر في ما حوله: إلى طعامه. . إلى خلقه. . إلى الملكوت. . إلى التاريخ. . إلى خلائق الله. . . إلى آياته المنبثّة في كل مكان. . إلى النواميس الاجتماعية. . إلى الطبيعة وهي تنبعث من قلب الفناء برحمة من الله ومقدرة. . إلى الثمار وهي تتدلى من غصون الأشجار. . إلى الحياة الأولى كيف بدأت، وكيف نمت وارتقت.

ودعاه أن يحرك سمعه باتجاه الأصوات لكي يعرف ويميز، فيأخذ أو يرفض، فمن الاختيار البصير ينبعث الإيمان.

وانتقل القرآن خطوة أخرى. . . فسأل الناس أن يحركوا بصائرهم، تلك التي

تستقبل في كل لحظة مدركات حسية، سمعية وبصرية ولمسية لا حصر لها، ومن ثم تتحمل البصيرة مسؤولياتها الأساسية في تنسيق هذه المدركات وتمحيصها وموازنتها من أجل الوصول إلى الحق الذي تقوم عليه وحده نواميس الكون والخليقة . .

إن العقل والحواس جميعًا مسؤولة، لا تنفرد إحداها عن الأخريات في تحمل تبعة البحث والتمحيص والاستقراء والاختيار . . والإنسان مبتلى بهذه المسؤولية لأنه من طينة أخرى غير طينة الأنعام . . ومن ثم تتوالى الآيات، تؤكد المرة تلو المرة على أن السمع والبصر والفؤاد جميعًا هي التي تعطي الحياة الإنسانية قيمتها وتفردها، وأن الإنسان (بتحريكه) هذه القوى أو الطاقات، بفتحه هذه النوافذ على مصراعيها، باستغلال قدراته العجيبة حتى النهاية، سيصل إلى قمة تفوقه العلمي والديني على السواء، لأن هذا التفوق سَيُبَوِّئُهُ مركزه المسؤول سيدًا على العالمين وخليفة عن الله في الأرض . . وأنه بتجميده هذه الطاقات، وقفل نوافذها وسحب الستائر والأغطية عليها، يكون قد اختار بنفسه المنزلة الدنيا، التي ما أرادها الله له يوم مَنَحَهُ السمع والبصر والفؤاد . . منزلة البهائم والأنعام .

وثمة حشد آخر من الآيات، بلغ ما يقْرب الخمسين، حثّ على تحريك العقل، المفتاح الذي منحه الله لبني آدم كي يفتحوا به أبواب الملكوت ويدخلوا ساحة الإيمان بالله الذي سخر لهم ما في السموات والأرض . . وآيات أخرى دعت الإنسان إلى التفكير العميق المتبصر المسؤول بكل ما يحيط به من ظواهر وشواهد وموجودات وأشياء .

وما يقال عن التفكر يمكن أن يقال عن (التفقّه) الذي هو خطوة عقلية أبعد مدى من التفكير، إذ هي الحصيلة التي تتمخض عن عملية التفكير وتجعل الإنسان أكثر وعياً لما يحيط به وأعمق إدراكًا لأبعاد وجوده وعلاقاته في الكون، كما تجعله متفتح البصيرة دومًا، مستعدًّا للتحاور المسؤول إزاء كل ما يعرض عليه من أسئلة وظواهر ومعضلات .

وأكد القرآن الكريم على الأسلوب الذي يعتمد (البرهان) والحجة والجدال الحسن للوصول إلى النتائج الصحيحة القائمة على الاستقراء والمقارنة والموازنة

والتمحيص استناداً إلى المعطيات الخارجية المتفق عليها، والقدرات العقلية والمنطقية لأولئك الذين تفوقوا في هذا المضمار.

وثمة حقيقة قرآنية على درجة كبيرة من الأهمية تلك هي أن كلمة «العلم» وردت في القرآن الكريم كمصطلح على «الدين» نفسه الذي علّمه أنبياءه (عليهم السلام). . على النواميس التي يسيّر بها الله ملكوته الكبير. . على الحقائق الكبرى الموجودة عند الله سبحانه في (أم الكتاب). . وكإشارة إلى القيم الدينية التي تنزلت من السماء. ومن ثم يغدو العلم والدين سواء في لغة القرآن. إن كلمات الله سبحانه تعلمنا هذه الحقيقة، وتبصرنا بمواقع العلم والدين الفسيحة، الممتدة، المتداخلة، كما أراد لها الله أن تكون، لا كما يريد لها أصحاب الظن والهوى من الوضعيين. ولا يسعنا هنا استعراض هذه الآيات. . ويكفي أن نشير إلى أن كلمة «علم» بتصريفاتها المختلفة وردت في عدد من الآيات جاوز السبعمائة والخمسين.

وفي مقابل تأكيد القرآن المتزايد على اعتماد الموقف العلمي الشامل إزاء الكون والحياة والعالم، يعلن رفضه القاطع لكل ما من شأنه أن يمس هذا الموقف أو يلغيه أو يصده عن العمل: الهوى والظن والسحر والخرافة. . إن هذه الممارسات اللاعلمية، إذا صح التعبير، تأتي جميعًا بمثابة الضلال عن الطريق القويم الذي جاء به الدين ليدعو الإنسان للسير فيه إلى أهدافه على خط مستقيم. والخط المستقيم، كما هو معروف، أقرب المسافات بين نقطتين، وأيّ انحراف عن الطريق سيبعد الشقة ويطيل الجهد ويلتوي بالسائرين. وقد لا يصل بهم إلى أهدافهم أبداً.

إنّ القرآن الكريم يعلن مرارًا عن هذه المعادلة الواضحة البيّنة: إنه ليس بعد الهدى إلا الباطل والعمى، وما بعد الحق إلا الضلال.

ثالثاً: الحقائق

في البعد الثالث يقدم القرآن حشداً من الحقائق والسنن والنواميس في مجالات العلم المختلفة: الفلك والجغرافيا والنبات والحيوان والإنسان، في عدد واسع من المقاطع والآيات. وهنا يلجأ بعض المفكرين أو المفسرين المحدثين إلى اعتماد أحد

موقفين متضادين، يتكىء أولهما كلية على معطيات العلم الحديث لتفسير آيات القرآن الكريم والوقوع بالتالي في خطأ منهجي يقوم على تحكيم الجزئي بالكلّي، والمتغير بالدائم، والنسبيّ بالمطلق. فإذا ما حدث وأن تبدلت الجزئيات والنسبيات العلمية، وهذا شأنها كما يؤكد العلماء أنفسهم، أدى ذلك إلى إحداث شرخ، أو قلق ذهني، إزاء تلك الآيات التي فسرت وفق مقولات لم يتح لها الدوام.

أما الموقف الثاني فيرفض كلية الاعتماد على معطيات العلم الحديث تَحسبًا من مصير كهذا فيقع في مَظَنَّة التفريط هو الآخر.

والمنهج الأقرب إلى الصواب هو أن نتخذ موقفًا وسطًا كما عَلّمنا كتاب الله نفسه أن نتخذ في مختلف مساحات الحياة، فلا هو بالالتصاق التام بمعطيات العلم المتغيرة ولا هو بالرفض الكامل للتفسير بها.

إن المفسر المعاصر يتحتم عليه أن يُعْمِل عقله وقدراته في مجال تخصصه إذا توفرت لديه، لإدراك طبيعة العلاقة بين طرفي المعادلة: الآية القرآنية والمقولة العلمية، مستفيدًا، من جهة أخرى، من الاتجاهات الحديثة التي نضجت أخيرًا في مجال التفسير القرآني، تلك الاتجاهات التي تعتمد مفردات القرآن نفسه ومنحنياته البيانية لفهم مضامينه ومعانيه فيما يعرف بالتفسير البياني للقرآن والذي من شأنه أن يمنح المفسر ضمانات موضوعية لنشاطه. تحميه من الإفراط أو التفريط في محاولة الوصول إلى الدلالات المقصودة للكلمات والتراكيب الجمالية.. ومن خلال هذا التوازن في القدرة العلمية (المتخصصة) والقدرة التفسيرية (البيانية) يمكن للمفسر أن يتحرك للكشف عن الدلالات المقصودة للآيات العلمية في كتاب الله.

هنالك من الحقائق العلمية ما أصبح بمثابة قوانين نهائية، بل بداهات مسلّم بها لا تقبل نقضًا ولا تغيرًا، من مثل الدور الذي تلعبه الرياح في عملية الأمطار، ومن مثل الدور الذي تلعبه الجاذبية في حركة المجموعة الشمسية، ومن مثل المراحل التشريحية التي يمر بها الجنين، وتغير نسب المكونات الغازية قربًا أو بعدًا عن سطح الأرض. وغير هذه من الحقائق أمور كثيرة ما كان العربي يوم نزول القرآن يُلِمّ بأبعادها العلمية ومن ثم في تفسير الآيات القرآنية التي تناولت هذه الحقائق وأكدت

عليها. كما أنه سيتكىء على بداهات علمية بالنسبة للقرون الأخيرة على الأقل، فإنه سيكشف في الوقت نفسه، عن جانب من جوانب الإعجاز العديدة التي تضمنها القرآن وأشار إليها.

وهنالك من الحقائق العلمية ما يحتمل أكثر من وجه، ولكن هذه الوجوه جميعًا إنما تدور في إطار واسع مَرِن ليس هناك من مانع في أن نُحيل عليه آيات قرآنية أخرى لإدراك دلالاتها من مثل تلك الآيات التي تؤكد على النظام الذي يمسك بناء السماوات المعجز من أن يتفكك ويضيع.

أما النظريات التي لا تزال موضع أخذ ورد، والتي لم تتبلور بعد كحقائق وقوانين وبداهات مسلّم بها، فإن بمقدور المفسر أن يكون حَذِرًا إزاءها، وألا يتكئ عليها إلا بمقدار ما يتيح له ذلك تسليط الضوء على جانب من جوانب المضمون الذي تحتويه الآية.

ليس سواء.. معطيات العلم التي تتغير باستمرار، ومن ثم فإن التعامل معها يجب أن يُحاذِر عن مظنة الارتباط الكامل أو الانفصال الكامل.

إن الارتباط الكامل سيمنع القدرة على الفهم والإدراك من التحرك في شتى الاتجاهات والانفصال الكامل سيضعف هذه القدرة ويقيم أسلاكًا شائكة بين جانب من معطيات القرآن وبين الإنسان المعاصر.

إن الحقائق التي يطرحها القرآن والتي أريد منها أن تكون شواهد تقود الإنسان إلى الإيمان بالله الواحد القادر العالم المريد، تنتشر وتتوزع على مساحة القرآن كله. ويجب أن نلاحظ أن ليس كل ما طرحه القرآن الكريم في هذا الحقل أو ذاك من حقول العلم العديدة أريد به أن يكون إعجازًا للأجيال التالية، ولم يكن معروفًا - بالتالي - في عصر النزول. فثمة صنفان من الآيات نطالعهما في أي حقل من الحقول: صنف جاء على سبيل الإخبار ولفت الأنظار إلى خليقة الله وإبداعه في الكون والعالم والنفس، وهو يعرض لحقائق وظواهر وموجودات كانت معروفة في عصرها، كما هي معروفة في كل عصر. وصنف آخر تضمن إشارات لحقائق وسنن

ونواميس علمية ما كانت معروفة في عصرها، وتولى العلم ـ بمرور الزمن ـ الكشف عنها وهي التي تسمى عادة بالإعجاز العلمي للقرآن.

كما يجب أن نلاحظ أن ما طرحه القرآن لا يمثل كشفًا بجميع الحقائق العلمية، فالقرآن الكريم ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ ليس كتابًا علميًا وإنما هو يكتفي بالكشف عن بعض الحقائق والإشارة إلى بعضها الآخر، وتبقى حشود أخرى من الحقائق، أكثر بكثير، تركت للإنسان حرية الكشف عنها. والمنهج الذي طرحه القرآن الكريم نفسه، كما مرّ بنا، يمثل ضرورة إيمانية ملحّة لمواصلة هذا الكشف.

رابعاً: التطبيق

في الاتجاه الرابع نطالع في القرآن الكريم دعوة مُلحّة في أكثر من موضع إلى اعتماد حقائق العلم وكشوفاته لتطوير الحياة وترقية الحضارة البشرية بمزيد من التطبيقات التقنية (التكنولوجيا) على كافة المستويات. وهو الآخر موقف مَرِن، يتميز بالشمولية والديمومة، إذ أنه دعوة للإفادة من الحقائق العلمية الراهنة في مدى كل عصر لإحداث تطبيقات على مستوى العلاقات المدنية لذلك العصر، فإذا ما حدث وأن تغيرت الحقائق العلمية وتبدلت العلاقات المدنية، كان بمقدور النداء القرآني أن يمضي لكي يخاطب كل جيل من أجل أن يتحرك لإحداث تطبيقات أخرى على مستوى الحقائق الجديدة ومن خلال العلاقات المتغيرة.

وهكذا فأينما تلفتنا، عبر هذا البعد الرابع من معالجة القرآن للمسألة العلمية، وجدناه يتخذ دعوة دائمة لا تحدها حدود ولا تأسرها متغيرات ولا نسبيات لدفع الجماعة المؤمنة إلى صياغة مزيد من التطبيقات المبنيّة على حقائق العلم وكشوفاته ومعادلته.

ألم يَدْعُنا القرآن الكريم إلى أن نعدّ لأعدائنا القوة التي نرهبهم بها، ونحمي ـ بالتالي ـ وجودنا ودورنا في الأرض؟ ألم تأتِ هذه الدعوة متضمنة هذا الموقف المَرِن، الشمولي، الممتد عبر الزمان والمكان، والذي يلتقي فيه الراهن بالشامل، والموقوت بالدائم؟ **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾** مطلق القوة **﴿ومن رباط**

الخيل﴾، أكثر الأسلحة مضاء في ذلك العصر على وجه الخصوص ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]. ألم يؤكد في سورة الحديد على اعتماد هذا الخام الخطير في ميادين السلم والحرب، دونما تحديد ملزم لطرائق الاعتماد وصيغه؟ ﴿لقد أرسَلْنَا رُسُلَنا بالبيِّنَاتِ، وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ النَّاسُ بالقسطِ وأنزلنا الحديدَ فيه بَأْسٌ شديدٌ ومنافعُ للنّاسِ وَلِيعْلَمَ الله مَنْ ينصُرُهُ ورُسُلَه بالغيبِ إنَّ الله قويٌّ عَزيز﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

فهل ثمة أكثر دلالة على ارتباط المسلم بالأرض من تسمية سورة كاملة باسم خام من أهم خاماتها وأخطرها؟ وهل ثمة أكثر إقناعًا لنزعة التحضر والتطبيق العلمي التقني والإبداع والبناء، التي جاء الإسلام لكي يجعلها جزءًا أساسيًا من أخلاقيات الإيمان وسلوكياته في قلب العالم، من هذه الآية التي تعرض خام الحديد كنعمة كبيرة أنزلها الله لعباده، وتعرض معها المسألة في طرفيها اللذين يتمخضان دومًا عن الحديد: (البأس الشديد) متمثلاً باستخدام الحديد كأساس للتسلح والإعداد العسكري، والمنافع التي يمكن أن يحظى بها الإنسان من هذه المادة الخام في كافة ميادين نشاطه وبنائه السلمي، وهل ثمة حاجة للتأكيد على الأهمية المتزايدة للحديد بمرور الزمن، في مسائل السلم والحرب، وأنه غدا في عصرنا الراهن هذا وسيلة من أهم الوسائل في ميادين القوى الدولية سلمًا وحربًا. إن الدولة المعاصرة التي تملك خام الحديد تستطيع أن (ترهب أعداءها) بما يمنحها إياه هذا الخام من مقدرة على التسلح الثقيل، وتستطيع أيضًا أن تخطو خطوات واسعة لكي تقف في مصاف الدول الصناعية العظمى التي يشكل الحديد العمود الفقري لصناعتها وغناها.

والآن ونحن نتكلم عن الحديد ونلتقي بسورة كاملة سميت باسمه نتذكر، في الوقت نفسه، آيات من «سورة سبأ» تذكر نعمة الله على داود (عليه السلام) بتليين الحديد له أو تعليمه كيف يلين الحديد وهي بصدد الحديث عن البناء والإعمار والتصنيع، ونتذكر أيضاً ذا القرنين وهو ينادي الجماعة المضطهدة لكي يحميها من الغزاة ﴿آتوني زُبَرَ الحديدِ حتّى إذا ساوى بين الصَّدَفَين قال انفُخُوا، حتّى إذا جعله

نارًا قال: آتوني أُفْرِغْ عليه قِطْرا * فما استطاعوا أن يَظْهَرُوه وما استطاعوا له نَقْبًا﴾ [سورة الكهف: ٩٦ ـ ٩٧].

هنالك تلك الصورة الفذة التي يرسمها القرآن عن ذلك التناغم بين الإنسان والطبيعة وما وراءها، وذلك التوازن بين تسخير القوى المادية وتصنيعها وبين عبادة الله سبحانه، وذلك التقابل المبدع بيبن النزعتين الجمالية والعملية، وهذه المعادلة الواضحة بين جبروت الإنسان وقدرته الفعالة وبين نسبيته وضعفه وحاجته الدائمة إلى الله، وهذا التأكيد المستمر على حماية الفاعلية البشرية من الجنوح والانحراف بعيدًا عن المتطلبات المادية والطبيعية. . ﴿ولقد ءاتينا داودَ منّا فضلاً يا جبالُ أوبي معه، والطَّير، وألَنّا لَهُ الحديدَ * أن اعمِلْ سابغاتٍ وقَدِّرْ في السَّرد واعمَلوا صالحًا إنّي بما تعملون بصير * ولسليمان الريحَ غُدُوُّها شهرٌ ورواحُها شَهْرٌ ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نُذِقْهُ من عذابِ السعير * يعملونَ له ما يشاءُ من محاريبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجَوابِ وقدورٍ راسياتٍ اعملوا آل داودَ شُكرا وقليلٌ من عبادِيَ الشكور * فلمّا قَضَيْنا عليهِ الموتَ ما دَلَّـهُمْ على موتِهِ إلاّ دابَّةُ الأرضِ تأكُلُ مِنسأتَه فلمّا خرَّ تَبَيَّنَت الجنُّ أن لو كانوا يعلمونَ الغيبَ ما لَبِثوا في العذاب الـمُهين﴾ [سورة سبأ: ١٠ ـ ١٤].

وفي سورة (ص) نقرأ ﴿قالَ ربِّ اغفِر لي وَهَبْ لي مُلْكًا لا ينبَغي لأَحَدٍ من بعدي إنّكَ أنتَ الوهّابُ * فسخَّرنا لهُ الريحَ تجري بأمرِهِ رُخاءً حيثُ أصابَ * والشياطينَ كُلَّ بنّاءٍ وغوّاص. وآخرينَ مُقَرَّنين في الأصفاد * هذا عطاؤنا فامْنُنْ أو أمسِكْ بغير حساب﴾ [سورة ص: ٣٥ ـ ٣٩]. ثم نقرأ في سورة الأنبياء ﴿. . . وكُلاً آتينا حُكمًا وعِلمًا وسَخَّرنا مع داوودَ الجبالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ، وكُنّا فاعلين * وعَلَّمناه صنعةَ لَبُوسٍ لكم لتُحصِنَكم من بأسِكم فهل أنتم شاكرون * ولسليمانَ الرّيحَ عاصفةً تجري بأمرِهِ إلى الأرض التي باركنا فيها وكنّا بكلِّ شيءٍ عالمين * ومِنَ الشياطين مَن يغوصون لَهُ ويعملونَ عَمَلاً دونَ ذلك وكنّا لهم حافظين﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩ ـ ٨٢].

إن هذه المقاطع التي آثرنا الوقوف عندها كنماذج، من بين كثير غيرها، تبين لنا قمة الاندماج الحضاري الفاعل بين الإنسان والطبيعة والقوى غير المرئية، في

حوارها الخلاق مع الله سبحانه أخذًا وعطاء. . إن طاقات الكون تنسجم هنا وتتناغم وتعمل بتوافق مرسوم في خدمة الإنسان الذي يتوجه إلى الله في أصغر فاعلياته وأكبرها، حامدًا، شاكرًا، عابدًا للمنعم الذي منحه هذا كله لكي يختار موقعه الصحيح الذي أنشئت الحياة على الأرض من أجله ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا لِيَعْبُدون * ما أُريدُ منهم مِن رزقٍ وما أريدُ أن يُطْعِمون﴾ [سورة الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧].

إننا هنا نلتقي باثنين من عباد الله المصطفين، داوود وسليمان (عليهما السلام) وقد سخّرت لهما قوى الطبيعة الهائلة والطاقات الغيبية التي لا يحدها جدار زماني أو حاجز مكاني، والتي أخذ العلم يطأطىء رأسه أمامها أخيرًا، سخّرت جميعًا لكي تعمل تحت إمرة الإنسان المؤمن المسؤول: الحديد، الريح، القطر (النحاس السائل)، الجن. . في عدد مشار إليه من مساحات العمل الحضاري صناعة وعمرانًا وبناءً وفنونًا. . وبمقدور المرء أن يلحظ في ميدان هذا النشاط تلك الإشارات الواضحة إلى الحديد والنحاس اللذين قد تبين لنا في قرننا العشرين هذا، كم هما ضروريان للحضارة المعاصرة، ولكل حضارة تريد أن تعمّر وتصنع وتبني وتتفنن وتطبق. . وبمقدوره أن يلحظ كذلك أن الله سبحانه لم يمنح الحديد فحسب لداوود (عليه السلام) ولكنه يعلمه كيف يلينه. ولن ننسى هنا الإشارة إلى الريح التي بيّنت الدراسات الجغرافية كم هي خطيرة في إعمار الأرض والحياة أو في ذبولها ومواتها.

إن هذه الآيات، وغيرها كثير، تقدم لنا الرد الحاسم على القائلين بأن الأديان السماوية ما جاءت إلا لكي تقود المؤمنين إلى مواقع العزلة والسلوان وتلقي في روعهم أن الدنيا قنطرة وأن عليهم أن يعبروها ولا يعمروها. ومن ثم يغدو الدين في تصورهم نقيضًا للتحضر، ويقف الإيمان بمواجهة الخَلق والابتكار والإبداع وتتحول العلاقة بين الإنسان وخالقه جَلّ وعلا إلى ممارسة سكونية (استاتيكية) تاركة للمذاهب الوضعية أن تأخذ زمام الحركة (الديناميك) من أجل تطوير الحياة وترقيتها.

إنّ هذا التصور الخاطىء مرفوض من أساسه، وأمامنا شاهد فحسب من

مئات الشواهد القرآنية على هذا الرفض لمواقف اتكالية مهزومة تسعى لأن تجعل الدين والتطور عدوين لدودين.

التراث المعرفي الإسلامي

إن البحث المتمعن الدقيق في طبيعة الارتباط بين معطيات تراثنا المعرفي بكافة فروعه وبين التصور الإسلامي، يعد بحد ذاته واحدة من الضرورات الملحة في أنشطتنا الفكرية والمنهجية المعاصرة. كما أنه يعد من الضروري متابعة محاولات الانفصال في هذا التراث وحجم التأثيرات المضادة ومواردها الأساسية.. والتحول، بالتالي، إلى تنفيذ عملية تمحيص وانتقاء شاملة تضع بين يدي المسلم المعاصر جميع مفردات المعطيات التي قدمها الأجداد في نطاق التصور الإسلامي وتفاصيلها.

فكيف إن كان الأمر متعلقًا بعملية أسلمة المعرفة بالذات؟ ألا تحتّم مهمة كهذه، متابعة تلك الخطوات الأساسية الثلاث في دائرة التراث المعرفي الإسلامي وتنفيذها، من أجل رفد العملية وإغنائها بالعناصر والقيم الصالحة في بنية هذا التراث؟

صحيح أن جهدًا كهذا، في سياقاته الثلاثة، يقتضي حشدًا كبيرًا من الطاقات المتخصصة القادرة على أداء المهمة بأكبر قدر من الدقة والالتزام والإلمام.. ومع الحشد الكبير فترة زمنية قد تستغرق الأعوام ربما العقود الطوال. إلا أن حتمية محاولة كهذه تستحق العناء، إذ لا يمكن لبرنامج الأسلمة أن يبدأ من نقطة الصفر مخلِّفًا وراءه معطيات وخبرات تجارب الأجداد الغنية بمفرداتها في مجالات المعرفة كافة، تلك المفردات التي بلغ بعضها حدًّا من التألق والفاعلية بحيث أنه عدّ، في نظر الغربيين، أنفسهم، جزءًا أصيلاً في النسيج الثقافي والعلمي للحضارة المعاصرة.

فإذا تذكرنا، كذلك، أن دائرة العلوم الإنسانية في هذا التراث قد تتفوق، في جوانب منها وبكافة المقاييس، حتى على نظيراتها لدى الأمم الأخرى وفي نطاق الحضارة المعاصرة كذلك، في ريادتها.. في قدرتها على الكشف.. وفي انسجامها بنسبة أعلى مع هموم الإنسان ومطالبه وطبيعة تكوينه، أدركنا أن الأمر ليس فيه مجال

الخيار، وأن تجاوز هذا الكم الكبير من المعطيات التراثية يمثل خسارة ليس للمسلمين فحسب بل للمعرفة البشرية كافة.

ومنذ البدء، وكمؤشر عام، فإن علينا ألا نقع في مظنة التسليم بـأحد التعميمين التاليين:

(أ) إن التراث الإسلامي يعبر بكليته عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

(ب) إن التراث الإسلامي لا يمثل بالضرورة امتدادًا لهذا التصور.

فهذا التراث إنما هو نسيج متداخل الخيوط بين ما هو أصيل وما هو طارئ دخيل.. بين معطيات تشكلت من مقولات القرآن والسنة. وتخلقت في إطاراتها، وبين أنشطة أقحمت اقحامًا في مجرى الفعل الحضاري الإسلامي، بتأثير الدهشة والإعجاب بهذا الجانب أو ذاك من معطيات الغير. أو عن قصدية مسبقة لعناصر غير إسلامية، بالمفهوم غير المحدد للكلمة، لزرع أجسام غريبة في نسيج هذه الحضارة ومحاولة غزوها والتلبيس عليها من الداخل.

وفي كل الأحوال فإن الباحث يجد نفسه قبالة صعوبة بالغة وهو يتعامل مع التراث قبل أن يتبين بوضوح ما هو إسلامي أصيل منها وما هو يوناني أو فارسي أو هندي أو يهودي أو نصراني دخيل. بل أن المعطى الواحد نفسه، في هذا الحقل أو ذاك من حقول المعرفة قد يتضمن المادتين معًا، فهو في بعض جوانبه إسلامي المنطلق وفي جانب آخر غير إسلامي، ليس بالضرورة في التفاصيل والجزئيات، ولكن في الخطوط العريضة ومنطلقات التصور الأساسية.

إن ثنائية كهذه تمضي إذًا لكي تعمل عملها باتجاهين، أولهما تشكيل نمطين من المحصلات المعرفية متضادين في أسسهما التصورية وثانيهما جعل المعطى المعرفي الواحد يتضمن إشكالية التداخل بين النمطين.

وإذا كان هذا يبدو واضحًا فيما اصطلح عليه بالفلسفة الإسلامية بسبب من تأثرها الواضح بالفلسفة اليونانية، وتقبلها الكثير من مقولاتها على مستوى المنهج

والموضوع، فإنه قد لا يبدو بهذا القدر من الوضوح في حقول علمية أو إنسانية أخرى.

وفي كلّ الأحوال، كذلك، فإن محاولات الدراسة والتمحيص ومتابعة طبيعة الارتباط أو الانفصال تقتضي قدرًا كبيرًا من الإلمام بأسس التصور الإسلامي ومقوماته من جهة، وبمطالب التخصص العلمي بهذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة. ومعنى ذلك أن المحاولة في مجملها تقتضي ملاكًا أو كادرًا أو فريقًا متكاملاً يضم جناحيه على المتخصصين (الإسلاميين) في كافة فروع المعرفة. إذ ليس بمقدور متخصص في الفلسفة مثلاً أن يمارس العمل في حقل التاريخ، وليس بمقدور هذا أن ينفذ المهمة في حقل الفقه والتشريع، كما أنه ليس بمستطاع الآخرين أن يأتيا بنتائج مقنعة وهما يكلفان بالعمل في حقل اللغويات والآداب والفنون.. وهكذا.

قد يلتقي هؤلاء جميعًا في الخطوط العريضة لمنطلقات العمل، هذه الخطوط أو الضوابط (التصورية أو الشرعية) التي لا بد وأن يحيلوا عليها مفردات الحقول التي يجوسون فيها.. لكن، وبعد هذه البداية يمضي كل منهم في طريقة لكي يتعامل مع فرع يختلف في منهجه وتوجهاته ومعطياته ونتائجه وطبيعة اهتماماته، عن سائر الفروع الأخرى.

ثمة ضرورة أخرى يتحتم أن نضعها في الحسبان، تلك هي وضع أو تصميم منظومة من المعايير التي يتم بموجبها التعامل مع حشود المعرفة التراثية.. ومنظومة كهذه بقدر ما ستمنح النشاط بعدًا منهجيًا مرسومًا، وليس ضربًا على غير هدى، بقدر ما ستعين العاملين على اختزال الجهد والوقت، وصولاً إلى هدفهم المرتجى.

ولا يخفى على أحد أن المعارف التراثية ليست سواء في قيمتها «العلمية» وفي قدرتها على التأثير في البنيان المعرفي للعصر الذي نعيشه ولمستقبل هذا العصر، أي في تواصلها مع العصر وديمومة فعاليتها في المكان والزمان.. كما لا يخفى على أحد أنه بالنسبة للمسلمين بالذات فإن هناك سُلّمًا للأولويات يجعل هذا الجانب من المعطيات التراثية ضروريًا لا يمكن تجاوزه بحال من الأحوال.. ويتساهل مع جوانب أخرى

أخذًا ورفضًا. . وجوانب ثالثة يبدو أن رفضها أو إهمالها في الأقل، يمكن أن يكون ضروريًا.

فإذا وضعنا هذا في الحسبان، فإنه سيوفر علينا الكثير من الطاقات لأنه سيسقط ابتداء ما يمكن تسميته خطأ بحرمة التراث، أو قدسيته، الأمر الذي يفرض تقبله في إطاره العام وبكافة مفرداته، ويفرض بالتالي تمحيصه وفرزه بالكلية وصولاً إلى فكّ الارتباط بين عناصره الأصيلة ذات الجذور الإسلامية، وتلك التي أقحمت عليها من مصادر خارجية.

لكننا من خلال منظومة الأولويات سنوفر جهداً كهذا إزاء كَمّ كبير من المعطيات التراثية قد لا تكون له، فيما عدا الأهمية التاريخية الساكنة، أيما تأثيرات على العصر الذي نعيشه، إن على مستوى البشرية، أو في دائرة الجماعات الإسلامية.

ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة من بين حشود منها لا تُعد ولا تُحصى. ففي علم الاجتماع أو العمران البشري في المصطلح القديم، يبدو عمل كـ «مقدمة ابن خلدون» وسائر الأعمال الأخرى التي حذت حذوه، ضرورية لمطالب البحث في هذا الفرع من فروع المعرفة، ليس على مستوى المسلمين وحدهم، بل في نطاق العالم الذي كانت «المقدمة» بالنسبة إليه كشفًا أساسيًا لهذا الحقل المعرفي المهم، وضعت من خلال الكثير من مفرداته التي لا تزال الأنشطة المنهجية لهذا العلم تأخذ بها، وتضيف عليها، بكل تأكيد.

وفي علم التاريخ فإن المعرفة البشرية عامة لن يكون بمقدورها أن تستكمل تغطيتها المعرفية للتاريخ البشري إن لم يولّ الاهتمام الكافي لمؤرخ كالطبري مثلاً ولمساحات واسعة من علم التاريخ الإسلامي حماية وكشفًا وتحليلاً وتركيبًا. . فكيف بالأمة الإسلامية نفسها؟

وما يقال عن الاجتماع والتاريخ يمكن أن يقال ـ مثلاً ـ عن التربية والجغرافيا والآداب والفنون. . الخ. فإذا كانت فروع كهذه ضرورية على المستوى العام، فإن ثمة ما هو أشد ضرورة وإلحاحًا بالنسبة للمسلمين أنفسهم من مثل التراث القانوني، والفقهي والتشريعي، الذي يمكن بدراسته وتمحيصه وتبويبه، التمهيد لحركة

الاجتهاد الإسلامية أن تستأنف من جديد، غير منطلقة من الفراغ، أو قافزة عبر فجوة زمنية متطاولة، وإنما من خلال تواصل زمني مطرد لهذا الفرع الخطير من فروع المعرفة.

صحيح أن الباحثين في هذه العلوم سيجدون في نسيجها مساحات، وربما مساحات واسعة، لم تعد تحمل أية قيمة معرفية أو شرعية، ولنتذكر على سبيل المثال بعض استنتاجات ابن خلدون الناقصة أو الخاطئة، على مستوى علم الاجتماع، وحشود الأكاذيب والتحزبات والميول والأهواء على مستوى التاريخ، وسيول الإسرائيليات على مستوى علوم القرآن، والحلول الفقهية لمشاكل ومتغيرات عفا عليها الزمن على مستوى الفقه والتشريع، ومعطيات النقد الفجّ الذي لا يقوم على منهج وإنما يعتمد الذوق الخالق على مستوى الآداب... الخ.. ولكن هذا كله لن يسقط حسبان هذه المعارف على حظ الضرورات البشرية والشرعية.. كل ما هنالك أنه سيتيح للباحث فرصة لإسقاط المساحات غير المجدية في نسيج هذه المعطيات، الأمر الذي قد يخفف عن كاهله جانبًا ليس بهين من عبء التمحيص الذي أنيط به..

لكن في مقابل هذا كله، أنماط من المعارف قد لا تمثل التضحية بها أو تجاوز فرزها وتمحيصها أو تعليقها زَمنيًا في الأقل، خسارة كبيرة على مستوى المعرفة البشرية أو الضرورات العقيدية والتشريعية، وأرجو ألا أكون مُخطئًا أو مُبالغًا إذا ضربت على ذلك مثلاً بالفلسفة ابن سينا، الكندي، الفارابي.. وأضرابهم، والجدليات الفرقية، وأقسام واسعة من علم الكلام، والعديد من النظريات الفجة الناقصة في مجالات العلوم الصرفة والتطبيقية وبخاصة علوم الطبيعة والفلك والحياة والنفس... الخ.

والمهم أن وضع معارف كهذه في أسفل المنظومة سيخفف العبء عن عاتق العاملين في تمحيص التراث ويمكنهم من تقديم الأهم على المهم على الأقل أهمية، وبالتالي سيوفر عليهم الكثير من الجهد والوقت اللازمين لإنجاز مهمة ملحّة كهذه تعد واحدة من أكثر الضرورات أهمية في مشروع أسلمة المعرفة لأنها بمثابة تجذير

للعمل في الأصول التصورية والحضارية والتاريخية للأمة الإسلامية، وتجاوز لمجازفة الانطلاق من نقطة الصفر أو الحركة في الفراغ.

لقد أصبح التراث الإسلامي في العقدين الأخيرين على وجه الخصوص، ساحة مفتوحة يصول فيها ويجول مفكرون لا يمتلكون قدرًا كافيًا من فهم أسس التصور الإسلامي ومقوماته، بل هم في كثير من الأحيان في خصام وعداء مع هذه الأسس، الأمر الذي كان يقودهم إلى توظيف هذا التراث لتأكيد استنتاجهم باعتماد منهج منقوص لا يستقرئ هذا التراث لاستخلاص مؤشراته الأساسية في هذه الدائرة أو تلك من دوائر معطياته المعرفية الخصبة المتشابكة، ولكنه يمارس عملية انتقاء كيفي فجة تستبعد - بحكم التحزّب والهوى - الكثير من عناصره الأصيلة، ولا تستبقي سوى الشواهد التي تؤكد هذا الاستنتاج المحدود أو ذاك.

ولا ريب في أن الاهتمام الجاد الذي ستوليه أنشطة أسلمة المعرفة لدائرة التراث، والمنهج الدقيق الأصيل الذي ستعتمده، والتصور المخلص الذي ستنطلق منه في فهم مفردات هذا التراث وتحليلها وتمحيصها فيما يجعلها أكثر قدرة على استبطان جوهر معطياته وملامسة حقيقتها.

إن هذا كله سيبرز الجهود الكبيرة المضنية التي ستأخذ المحاولة نفسها بها.. لأنه سيقدم ثماره التي نضجت على مهل، وفي بيئتها الطبيعية، ليس لمشروع أسلمة المعرفة فقط، ولكن لكل المعنيين بالتراث أكاديميًا وعقيديًا، وسيقطع الطريق على سائر المحاولات المبتسرة الناقصة، المرسومة سلفًا، تلك التي تسعى إلى توظيف المعطيات السخية لهذا التراث بالحق والباطل لتأكيد قناعاتها المتقاطعة أساسًا مع بداهات التصور الإسلامي.

المعطيات الإسلامية الحديثة والمعاصرة

تمثل المعطيات الإسلامية والمعاصرة - في مجال البحث والتأليف - كمًا ضخمًا يطوي جناحيه على حشود قيّمة من المعارف التي تم التعامل معها، بدرجة أو أخرى، وفق التصور والمنهج الإسلاميين.

وتكاد هذه المعطيات ـ لحسن الحظ ـ تُغطّي معظم الجوانب المعرفية، أو بعبارة أدق، جلّ الفروع العلمية في دوائرها المشار إليها في القسم الثاني. وهي بذلك تحقق نوعًا من التكامل في المعالجة، وتضع بين يدي المعنيين قدرًا طيبًا من المفردات والنتائج التي يمكن أن ترفد عملية أسلمة المعرفة في إطارها العالم والمنظّم. وإن كنا نستطيع أن نطرح تحفّظًا ما بصدد وجود نوع من عدم التوازن في المعالجة بين هذا الفرع أو ذاك، بحيث أننا نجد، مثلاً، قدرًا طيبًا من الدراسات والبحوث في حقل الاقتصاد والتاريخ الإسلامي، وبخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة. كما أننا نجد، مثلاً، قدرًا موازيًا من المحاولات الجادة في مجال الأدب الإسلامي دراسة ونقدًا وتنظيرًا، وخاصة في العقد الأخير. وما يقال عن هذين الفرعين يمكن أن يقال عن علوم القرآن لكننا في مقابل هذا لا نكاد نجد ما يسدّ الحاجة أو يملأ الفراغ في فروع أخرى من مثل علم النفس أو الاجتماع أو علوم السياسة أو الإدارة، فضلاً عن فلسفة العلم ومعظم فروع العلم الصرف والتطبيقي.

ثمة ملاحظة أخرى في هذا المجال: فإذا كانت هذه المعطيات الإسلامية الحديثة والمعاصرة، تمثل بشكل أو آخر امتدادًا للتراث المعرفي الإسلامي وتحركًا لمعطياته صوب العصر الحديث. إلا أنها ـ وإن اختلفت في الكم عن هذا التراث ربما بسبب ضيق الفترة الزمنية التي تشكلت فيها بينما أتيح للتراث المعرفي أن يتشكّل في مدى عشرة قرون أو يزيد ـ لكن المهم أن المعطيات الحديثة والمعاصرة هذه تمثل ولا ريب مقاربة أكثر للمنظور الإسلامي والتزامًا أدق بمطالبه المنهجية والموضوعية. ربما بسبب تراكم الخبرة والاستجابة لتحديات مذهبيات التشريق والتغريب. والوعي التصوري الذي صاغته ونـمّته الحركات الإسلامية الحديثة والمعاصرة. والقدرات المضافة التي منحتها أيضًا مناهج البحث الحديث، جَنبًا إلى جنب مع العلوم المساعدة أو الموصلة التي تعين على مزيد من الكشف والنضج خلال البحث والدراسة والتأليف في هذا الفرع أو ذاك.

فإذا وجدنا ـ مثلاً ـ في نطاق التراث المعرفي الإسلامي مساحات واسعة في نسيجه تندّ بشكل أو بآخر، ولأسباب شتى، عن نبض الرؤية الإسلامية ومفرداتها

ومطالبها المنهجية. . فإننا هنا قد نجد صفاء أكثر في الرؤية، والتزامًا أشد بالمفردات والمنهج واستقلالاً أكثر وضوحًا في التصور المذهبي خلال التعامل مع الظواهر والحقائق والأشياء.

صحيح أن كمًّا كبيرًا كهذا قد يتضمن دخلاً كثيرًا، وقد ينطوي على تناقضات وتوجهات مضادة - ربما - لبداهات إسلامية بسبب الجهل والقناعة الخاطئة. . . وصحيح أيضًا أن هذا الكمّ قد لا يتضمن الجيّد، العميق، المقنع دائمًا. . بل أن فيه في مقابل هذا مساحات ليست بالهيّنة لم يعرف أصحابها أوليات المنهج، ولم يمتلكوا ابتداءً قدرة فكرية تحليلية أو تركيبية مما تقتضيه هذه الأولويات. . كما أنهم لم يتوغلوا بما فيه الكفاية في ضرورات التخصصات العلمية التي درسوا أو كتبوا فيها، الأمر الذي جنح بالعديد منهم صوب نوع من «الإنشائية» التي لا تتضمن قدرًا طيبًا من التصاميم الفكرية الرصينة التي تخدم التصور الذي انطلقوا منه في تعاملهم مع الموضوع، وترفد، بالتالي، محاولة صعبة كأسلمة المعرفة التي نحن بصددها.

صحيح أنّ سلبيات كهذه وغيرها كثير، تتناوش مساحات ليست هيّنة في نسيج هذه المعطيات. . إلا أن الإطار العام لهذه المعطيات، والنيّات المخلصة التي تكمن وراءها، وتشبث أصحابها بالتحقق بحضور إسلامي في جلّ ما تناولوه وعالجوه، فضلاً عن تألق العديد من الأعمال التي برزت في هذه المعطيات، ليس على مستوى دائرة الإسلام فحسب، بل في مدى العالم كله بحيث أنها فرضت ثقلها، وحضورها على هذا المستوى العام.

إن هذا كله يمنح العاملين في سياق أسلمة المعرفة، ثروة جيدة من الأنشطة المعرفية التي يمكن توظيفها في هذه المهمة الصعبة، والإفادة منها إلى حد كبير. بل أن بعض أعمال هذه المعطيات تكاد تكون جاهزة تمامًا دونما حاجة إلى أيّ قدر من التبديل أو التحوير أو التمحيص، كي توضع في مكانها المناسب من معمار الأسلمة كعمل مستكمل الأسباب المنهجية والموضوعية. . وبهذا تكون قد وفرت على العاملين جهدًا ووقتًا كبيرين.

وهنا أيضًا يتحتم على مهندسي حركة أسلمة المعرفة ألا يتوهموا إمكانية البدء

من نقطة الصفر. فكلما كان ضروريًا الرجوع إلى التراث المعرفي الإسلامي والاستمداد منه، بعد سلسلة التصفيات التي ألمحنا إليها قبل قليل، فإنه من الضروري - كذلك - احتضان المعطيات الإسلامية الحديثة والمعاصرة، والتعامل معها بالجدية المطلوبة التي قد ترفد الأسلمة بالكثير من الأعمال القيّمة التي يمكن أن تكون لَبِنات جاهزة للارتفاع بالمعمار المتشعب الذي يتطلب قدرًا هائلاً من الخبرات والانجازات الفكرية والتأليفية. ولكن ليس قبل أن تتعرض هذه المعطيات لدراسة هادئة متخصصة لتمييز الأصيل من الدخيل، والجيد من الرديء أو الأقل جودة.. وليس قبل فرزها إلى مجموعات متخصصة وفق توجهاتها العلمية وتعرض كل مجموعة منها على خبراء إسلاميين متخصصين في هذا الفرع أو ذاك لكي يخبروها جيدًا ويقولوا فيها كلمتهم الأخيرة.

إنّ أعمال مفكرين كالندوي - مثلاً - في الهند وإقبال والمودودي في باكستان والسباعي في سوريا والجسر في لبنان وابن نبي في الجزائر وسيد قطب ومحمد قطب ومحمد البهي والغزالي والقرضاوي في مصر والنورسي في تركيا وتقي الدين في الأردن ومحمد أسد (ليوبولدفايس) النمساوي الأصل وروجيه غارودي في فرنسا.. وغيرهم عشرات بل مئات لا يحصيهم العد في نطاق عالم الإسلام كله، وعلى مدى قرن ونصف قرن من الزمن[1].. هذه الأعمال لا يمكن إلا أن تكون فرصة طيبة لتقديم المادة المناسبة لإقامة البناء، وتوفير الكثير من الجهد والوقت والتسريع - بالتالي - بالمهمة الصعبة، شرط أن يكون التعامل انتقائيًا منضبطًا بمعايير مسبقة مرسومة بعناية فائقة كي يكون النسيج متوحدًا ولكي يقوم الصرح المعماري للعمل بمواد متجانسة لا نشاز فيها، ويعرض على الناس تصميمًا تتناظر في مساحاته وتكويناته كافة المفردات.

---

(١) يمكن للمعنيين بالأسلمة إذا ما أرادوا السيطرة على تيار هذه المعطيات، أن يبدأوا - أولاً - بإحصاء وفهرسة كافة ما قدمته من بحوث ودراسات ومؤلفات وفق تخصصاتها العلمية بطبيعة الحال، وتواريخ صدورها. وقد تعينهم على مهمة صعبة كهذه المحاولات البيبليوغرافية التي قام بها بعض الباحثين الإسلاميين لحصر المعطيات في هذا الجانب أو ذاك من جوانب المعرفة، وبخاصة تلك المحاولات التي نفذتها مجلة «المسلم المعاصر» في بعض أعدادها بصدد الاقتصاد الإسلامي مثلاً، ورابطة الأدب الإسلامي بصدد الأنشطة الأدبية التنظيرية والدراسية والنقدية والإبداعية... الخ.

المحاولات المنظمة

في تحركنا من العام إلى الخاص.. سنجد أنفسنا قبالة المحاولات المحددة الخاصة بمهمة أسلمة المعرفة والتي أخذتَ على عاتقها منذ اللحظة الأولى مسؤولية العمل على تنفيذ المهمة وفق هذه الصيغة أو تلك.

فإذا كنا في الصفحات السابقة قد ألمنا بالخطوط العريضة للمصطلح وضروراته الأساسية، وانتقلنا للحديث عن الحلقات الأساسية للمعرفة وعلاقتها بالإسلامية، ثم بدأنا بطرح القاعدة التصورية العريضة للمسألة من خلال متابعة الارتباطات بين القرآن الكريم وبين العلم الحديث.. تلاه مقطع آخر كانت مهمته التعرض للمسائل الأساسية الخاصة بواقع النشاط المعرفي للمسلمين عبر التاريخ، وصولاً في المقطع الذي أعقبه إلى معطيات الإسلاميين الحديثة والمعاصرة.

فإننا هنا سنحدد الدائرة بعملية الأسلمة نفسها للتأشير فقط على بعض مطالبها وضروراتها العلمية.

فمنذ بدء الدعوة «المنظمة» لهذه الخطوة الحيوية، ربما في عقدي الستينات والسبعينات ووصولاً إلى قيام المعهد العالمي للفكر الإسلامي في بداية الثمانينات لكي يتولى كِبْر المهمة.. مرورًا بالمحاولات التنفيذية المخلصة لعدد من الجامعات وبالنسبة لبعض الفروع والتخصصات: شهدت الساحة أنماطًا من الأنشطة الإعلامية والتنظيرية والعملية يمكن أن نلمها في السياقات التالية:

أولاً: المؤلفات والنشريات.
ثانياً: المؤتمرات والندوات والمحاضرات.
ثالثاً: المؤسسات.

وليس من مهمة هذا البحث أن يستقصي جميع الأنشطة التي شهدتها السياقات آنفة الذكر، ولكنه سيولي وجهه نحو نمط من المؤسسات يمكن أن يكون عصب المحاولة وأداتها الرئيسية في تحولها إلى واقع منظور وذلك هو المؤسسات التعليمية عبر مراحلها الزمنية العديدة التي تبدأ بالمدرسة الابتدائية وتنتهي بمعاهد الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه.

فالمؤسسة التعليمية هي الأداة التنفيذية الرئيسية، في النظم التربوية المعاصرة، لتوصيل المعرفة، وهي حلقة الوصل بين مفردات المعرفة في كافة توجهاتها، وبين مطالب الواقع المعاش وضروراته.

ومنذ اللحظة التي يتفتح فيها العقل البشري على الوعي، في مرحلة الطفولة، تتلقّفه، كما هو معروف، المدرسة الابتدائية لكي تعلّمه الحد الأدنى الضروري من المعرفة، ولكي تربّيه على تحويل أكبر قدر من مفردات هذه المعرفة إلى دائرة الواقع والممارسة والسلوك.

وكلما مضى الطالب خطوات أبعد في نشاطه المدرسي، كلما سعت المؤسسات التعليمية إلى أن تمنحه من المعرفة وأن تجعله في الوقت نفسه يتوغل أكثر في نطاق كل فرع من فروعها. أي إن الامتداد الأفقي في نطاق المعرفة الشاملة يوازيه إيغال عمودي باتجاه نوع من التخصص لفهم أسرار ومطالب هذا العلم أو ذاك.

حتى إذا ما تجاوز الطالب المرحلة الثانوية ومضى إلى المعهد أو الكلية كان عليه أن يكون أكثر استعدادًا للتوجه الثاني، أي لمطالب التخصص.

وتجيء مرحلة الدراسات العليا لكي تتوج هذا السعي بتخصص دقيق في جانب ما من جوانب هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة.

وفي كل الأحوال فإن المؤسسة التعليمية تظل الأداة الأساسية للتوصيل والتغيير المعرفي، وتظل الرؤية أو الفلسفة أو التصور أو المنهج الذي تعتمده هذه المؤسسة في تقديم مفرداتها المعرفية، هو الحكم الفصل في تخريج طلبة ملاحدة أو لا دينيين أو أنصاف مؤمنين أو مؤمنين حقيقيين!

فما دامت القناة الأساسية للتلقّي المعرفي هي المؤسسة التعليمية، وما دامت هذه المؤسسة تهيمن على أشد المراحل حساسية في عملية التلقي، وتغطي هذه المسافة الزمنية التي تبدأ فيها قبل السادسة من العمر، وقد لا تنتهي إلا فيما وراء الثلاثين أو الأربعين.. فإن الفلسفة أو التصور الذي تصدر عنه المؤسسة، سيلعب دورًا خطيرًا ولا شك في التوجه الفكري والمذهبي والعقيدي لحشود الأجيال التي

تسهر على التعامل معها معرفيًا وتربويًا.

من هنا كان لهذه المؤسسة أهميتها البالغة في تنفيذ أسلمة المعرفة، إذا أحسن توظيفها في سياقات المنهج والتصور الإسلاميين. ومن هنا ـ كذلك ـ قدرت المؤسسة نفسها على أن تقطع الطريق، عبر القرن ونصف القرن الأخير، على أية محاولة جادّة للتحقق بالوفاق والالتئام المنشود بين المعرفة بفروعها كافة وبين مطالب وضرورات الإسلامية.

إن مفردات كتاب القراءة مثلاً، ذلك الذي يتعلم فيه طلبة الصفوف الأولى الابتدائية كيف يرسمون الحرف وكيف ينطقون به، إذا جردت تمامًا من كلمة «الله» فإن حشودًا من الأطفال ستتلقى منذ اللحظة الأولى أول ضربة مضادة، لما يمكن أن تكون قد تعلمته في نطاق الأسرة، أو ربما، المجتمع في دوائره الأكبر اتساعًا.. وسيؤدي هذا ولا ريب إلى شرخ غائر في سيكولوجية الطفل قد يصعب التئامه فيما بعد. وبالمقابل فإن كلمة «الله» في كتاب أوّلي كهذا ستعمق الحس الإيماني في وجدان الأطفال، وسوف تقودهم صوب مزيد من التوحد بين مكونات فطرتهم الأصيلة، وما يتعلمونه في البيت والمجتمع، وبين ما يتلقونه في المدرسة، وبين المفردات المعرفية التي يلقّنونها هنا وهناك والواقع الذي يعيشونه بعقولهم وأرواحهم ووجدانهم.

وما يقال عن كتاب أوّلي كالقراءة يمكن أن يقال عن كتاب أوّليّ كذلك كالتاريخ والجغرافيا والأشياء والصحة... الخ.

فمنذ البدايات تكون التربية والتعليم شيئًا واحدًا يصعب فصله، ومن ثم فإننا لن نكون مبالغين إذا قلنا إن أسلمة المعرفة يتحتم أن تبدأ من هناك... منذ السنوات المبكرة.. ولكن ماذا في المراحل التالية وبخاصة مراحل التخصص حيث تنفصل إلى حد كبير التأثيرات التربوية عن عملية تلقّي المعرفة كنشاط عقلاني صرف؟

هنا أيضاً.. في نهايات الشوط.. وعلى المستوى العقلي المحض، تكون كلمة «الله» هي الحكم الفصل في تخريج أو تكوين العالم الملحد أو اللاديني أو نصف

المؤمن أو المؤمن! وتصير كلمة «الله» سلاحًا ذا حدين قد تقود ـ بنفيها من العملية المعرفية ـ إلى حظيرة الكفر، وقد تنتهي ـ بتأكيدها في العملية ـ إلى ساحة الإيمان.

وفي كل الأحوال.. في كل المراحل التي يجتازها الطالب متقلبًا في أروقة المؤسسات التعليمية وقاعاتها، يكون التصور النهائي الذي تمر المفردات المعرفية من خلاله هو الحكم الفصل لجلّ الذين يمرون هناك. ومن ثم لزم، مرة أخرى، التأكيد على الدور الذي تلعبه هذه المؤسسة في المهمة الصعبة التي نحن بصددها، والتأكيد، كذلك، على أن أسلمة المناهج والمفردات التعليمية يجب ألا يقتصر على مرحلة دون مرحلة، رغم الاعتراف بأن للحلقة الجامعية في العملية، أهميتها البالغة لكونها تتولى في الأساس تخريج الكوادر المتخصصة التي تأخذ على عاتقها مهمة التواصل المعرفي مع الأجيال التالية سواء على نطاق المؤسسة التعليمية نفسها، أو سائر المؤسسات وعلى مدى الحياة الاجتماعية والثقافية كافة.

وكما ألمحنا في التمهيد فإن عملية الأسلمة في الدوائر الجامعية يتحتم أن تتحرك على محورين، أولهما تنظيري يفسر أبعاد العملية المعرفية كافة. وهذا المحور يمكن أن يتمثل بمؤلَّف واحد مقبول الحجم يعمّم على طلبة الفروع المختلفة كافة: إنسانية وعلمية صرفة وتطبيقية ويكون بمثابة مفتاح أو تمهيد أو مدخل للتحقق بالقناعة في أن عملية الأسلمة في أساسها مطلب ضروري على كافة المستويات المنهجية والمعرفة والعقيدية والإنسانية. ولكي يكون هذا المدخل ـ كذلك ـ بمثابة إضاءة وبرمجة لطرائق العمل في كل فرع على حدة من أجل صياغته، في دائرة الإسلامية.

ويستحسن أن يسبق هذا الكتاب (المدخل) الذي يخاطب الطالب الجامعي، كتاب آخر أصغر منه حجمًا وأكثر تبسيطًا يتوجه بالخطاب إلى طلبة الدراسة الثانوية بما أنها، في معظم الأحيان، الطريق إلى الجامعة، ومن أجل أن يهيّأ طلبة هذه المرحلة ذهنيًا ونفسيًا للتعامل مع المدخل (الجامعي) التالي، من جهة، ولتقبل عملية أسلمة المعرفة في الفروع التي سيلتحقون بها ويتخصصون بها، من جهة أخرى.

ويستحسن، كذلك، ألا يعهد بالمدخل الأوّلي للثانويات والمدخل الأساسي

للجامعات إلى مؤلف واحد ولكن إلى مجموعة مؤلفين ذوي خبرات متنوعة وتخصصات عديدة تغطي قدر الإمكان سائر الحلقات العلمية من أجل أن يصاغ الكتاب بأشد الطرائق دقة وشمولاً وقدرة على الفاعلية والتوصيل. ولا بأس من أن يعهد بكل فصل من فصوله إلى مؤلف واحد، شرط أن يتم مسبقًا اتفاق بين مؤلفي الفصول كافة على قواعد العمل ومطالبه وضروراته التكاملية من أجل أن يجيء متوحدًا في منهجه، متناسقًا في فصوله ومادته كافة. ولا بأس، كذلك، من أن يعهد بتأليف هذا الكتاب إلى عدد من المؤلفين كلّ يتولى كتابته كاملاً، ثم تُعْرَض هذه المؤلفات المتناظرة للفحص والاختبار كي يتم اختيار أكثرها قدرة على تلبية مطالب الموضوع أو ينتقى الفصل الأكثر دقة واستيعابًا لهذه المطالب.

وفي كل الأحوال فإن مدخلاً كهذا يجب أن يعالج مختلف المسائل التي تحدث عنها البحث الذي بين أيدينا بإيجاز بدءً من مسألة المصطلح والضرورات، مرورًا بالعرض التاريخي لمراحل الاتصال والوفاق أو التضارب والانفصال بين المعرفة والإسلامية، وبتحديد الحلقات الأساسية للمعرفة وعلاقتها بالإسلامية، وبطبيعة الارتباط بين القرآن الكريم والعلم الحديث فلسفة ومنهجًا وحقائق وتطبيقات، وبتحليل نسيج المعطيات الإسلامية التراثية والمعاصرة لوضع اليد على المساحات التي يمكن أن تخدم عملية الأسلمة، ووصولاً إلى المحاولات المنظمة التي شهدتها العقود الأخيرة والتي كانت للمؤسسة التعليمية، وسيكون، شأن كبير فيها.

فما هي إذًا المواصفات الضرورية لكتاب كهذا من أجل أن يكون قديرًا على أداء مهمته المتوخاة بفعالية عالية؟

يبدو أن أولى هذه المواصفات أو الشروط هي القدرة على التوصيل، فإن النشاط الجامعي والتعليمي عمومًا، هو عملية توصيل للمعرفة بالدرجة الأولى، فإذا قدرنا على توصيل مفردات كتاب كهذا إلى أذهان الطلبة بأكبر قدر ممكن من الوضوح، والمنهجية، والاستنادات العلمية والموضوعية نكون قد قطعنا شوطًا في الطريق الطويل.

ولا ريب في أن التسلسل المنطقي المقنع لفصول كتاب كهذا ومقاطعه وفقراته

وبلورة المعطيات في سياقات محددة بقدر كاف من الإيجاز، ودونما إرهاق للطالب بتركيم حشود كبيرة من الجزئيات، سيعين على تحقيق مهمة التوصيل. كما أن عقد قدر كاف من المقارنات، وضرب عدد مناسب من الأمثلة التاريخية، والحيوية والواقعية، سيساعد من خلال ما يسمى بالاقتران الشرطي على ترسيخ الأفكار في عقول الطلاب.

ولكن التوصيل وحده لا يكفي، ولا بد ـ أيضًا ـ من التأثير، فإن لم يقدر كتاب منهجي كهذا على التأثير العقلي والوجداني في الطالب، على جعله يتفاعل مع مطالب الأسلمة، وينفعل بها أو يتأثر بمعطياتها، ليس فقط من أجل تعزيز قناعاته بالمشروع، ولكن جعله يتحرك لكي يتبناه، ويبشّر به، وربما تعينه الظروف وقد بلغ مرحلة كهذه، في المعاونة، بشكل أو آخر، على تنفيذ هذا الجانب أو ذاك من المشروع، سيّما إذا أتيح له أن يواصل دراسته العليا صوب التخصص في هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة.

ولا ريب أن الخاصّتين آنفتي الذكر تقتضيان وقفة قصيرة عند مسألة «اللغة»... لغة العرض.

إن هذه اللغة يجب أن تتحاشى الوقوع في مظنتي الاختزال العلمي الذي يقود إلى الجفاء والملل والإعياء الذهني، ويؤثر بالتالي على قدرات التوصيل والتأثير.. وكذلك الإسهاب الإنشائي الذي يمارس تبذيرًا في اللغة وإسرافًا في التعبير على حساب الحقائق العلمية وضرورة توصيلها على الخط المستقيم الذي هو أقرب المسافات بين المعطي والمتلقّي.. الأمر الذي يؤثر، كذلك، على قدرات التوصيل.

إن العرض الجاف الذي يجافي جماليات اللغة الضرورية في أقل تقدير، هو كالطرح الإنشائي الفضفاض الذي تكاد تضيع في ثناياه التصاميم الذهنية التي هي الهدف الأساسي لعمل كهذا. ولا بد إذًا من صيغة وسط تتضمن أكبر قدر ممكن من التصاميم الذهنية، معروضة بأسلوب جميل واضح سَلِس يُعين مدرس المادة على توصيل الموضوع إلى عقول الطلبة ووجدانهم، وعلى التأثير فيهم في الوقت ذاته.

أما المحور الثاني الذي ستتحرك عليه الأسلمة فهو محور تنفيذي يستهدف

التعامل مع كل فرع من فروع المعرفة على حدة، لصياغته، أو إعادة صياغته وفق مطالب الإسلامية وشروطها.. وهذا بطبيعة الحال، وقياسًا على المحور الأول، يقتضي زمنًا متطاولاً وجهودًا صعبة قاسية ونشاطًا متواصلاً دؤوبًا.. كما يقتضي حشودًا كبيرة من العاملين المتخصصين كُلّ في حقله، لتغطية كافة الحلقات العلمية، والذين يتحتم أن تتوفر فيهم، فضلاً عن شروط التخصص، خلفية ثقافية واسعة، ورؤية إسلامية دقيقة، وإيمانًا عميقًا بضرورة عملهم هذا، وقدرة على تحقيق الوئام والانسجام بين مفردات تخصصهم وبين «الإسلامية».

في البدء لا بد من رسم الخطوط العريضة للتصور الأساسي لأسلمة كلّ فرع من فروع المعرفة: مثلاً: خطوط عريضة لمنهج مقترحٍ لأسلمة الاقتصاد أو الإدارة أو التاريخ أو الأدب.. الخ[1] يسهم في صياغته أستاذ أو أكثر ممن تتوفر فيهم الشروط التي ألمحنا إليها قبل لحظات.

وستؤدي هذه الخطط المنهجية الأساسية في خطوطها العريضة دورًا مزدوجًا وعلى مرحلتين زمنيتين. فمن جهة يمكن تقديم كل خطة للتدريسيين المعنيين لكي يسترشدوا بها في تدريسهم للمادة، ويمكن، كذلك، أن توزع على الطلبة أنفسهم فيما يمكن اعتباره دليل عمل في التعامل مع مفردات تخصصهم من منظور إسلامي.

وخطوة كهذه تُعد ولا ريب كسبًا طيبًا للوقت، إذ يمكن تنفيذها بمجرد استكمال الخطوط العريضة لمنهج كل فرع من فروع المعرفة، وقد لا يقتضي هذا وقتًا طويلاً.

وأما الدور التالي الذي يمكن أن تؤديه خطط (مرحلية) كهذه فهي أنها ستكون بمثابة نقاط انطلاق وبرامج عمل، فيما تتضمنه من معايير وضوابط ومؤشرات أساسية، لتنفيذ عملية الأسلمة على مفردات كل فرع من فروع المعرفة في نسيجها كافة.. وهذا لا ريب قد يقتضي وقتًا طويلاً وخبرات متكاملة وشروطًا ألمحنا إليها من قبل.

---

(١) أنظر: القسم الثاني لهذا الكتاب، الخاص بالخطوط العريضة لمنهج أكاديمي إسلامي مقترح لكتابة التاريخ الإسلامي.

وهنا أيضًا، بل في هذا النشاط الصعب بالذات فإن إنجاز أسلمة أي فرع من فروع المعرفة في أبعاده ومفرداته كافة، لن يتأتى عن طريق هذا المتخصص أو ذاك، وبجهود فردية مبعثرة. . فالمهمة صعبة، وهي تتطلب جهدًا جماعيًا منظمًا يقتضي أول ما يقتضي أن ينهض بالمهمة في كل فرع من الفروع لجنة عمل من المتخصصين الذين يغطون كافة جوانب الموضوع من خلال تكامل ما يدعى بالتخصصات الدقيقة، وعلى ضوء اتفاق مسبق بينهم جميعًا على منهج العمل وخرائطه وتصوراته الأساسية فيما يمكن أن تعينهم عليه الخطط المرحلية المشار إليها.

ونشير هنا، عَرَضًا، إلى ما يمكن أن تسديه مراحل الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) من دعم للمحاولة عن طريق منح الأولوية لكتابة أطروحات متخصصة في دائرة الإسلامية على مستوى التنظير أو التنفيذ في هذا الفرع أو ذاك ووفق تخصص الدارسين أنفسهم.

إننا في عصر انفجار التخصصات، إذا صح التعبير، وإن معاهد عالم الإسلام وجامعاته أخذت تخرِّج سنة بعد أخرى أعدادًا كبيرة من حملة الشهادات العليا، وبنسبة يمكن أن تكون بصيغة متوالية هندسية بعد أن كانت قبل عقود قليلة تزحف ببطء وبصيغة متوالية حسابية لا تكاد تضيف شيئًا ذا بال على مستوى الكَمِّ والنوع معًا. . وإن توجيه بعض قنوات انفجار كهذا باتجاه «الأسلمة» قد يغذّي المحاولة ويغني الأعمال المنهجية المعتمدة في هذا المجال.

خاتمة

إن الطريق لا شك طويل. . والجهود التي يتطلبها تكاد تبدو للوهلة الأولى من قبيل المستحيلات، ولكن القيمة الكبرى للمحاولة تستحق العناء، فضلاً عن أن الإيمان المدعم بالعلم والخبرة كفيل بالاستجابة للتحديات والتفوق عليها. . ورحلة الألف ميل تبدأ، كما يقول المثل المعروف، بخطوة واحدة.

ولقد بدأت هذه الخطوة منذ زمن بعيد، يوم بدأ الكتّاب والباحثون الإسلاميون يكتبون ويؤلفون في شتى فروع المعرفة من منظور إسلامي مرن يعرف

كيف يتعامل مع الدقائق والجزئيات في كلّ واحد من هذه الفروع، لكي يعيد صياغتها بما يحقق الوئام والانسجام بينها وبين مطالب الإيمان الشامل الوضيء.

ثم أعقبت ذلك خطوات أخرى أكثر برمجة وأدق تنظيمًا، وآلت إلى قدر طيب من التوفيق. وجاء قيام «**المعهد العالمي للفكر الإسلامي**» لكي يكون مرتكزًا أساسيًّا للمهمة.. يخطط للمحاولة ويبرمج لها، ثم ينفخ فيها روح السعي الدؤوب للاقتراب من الأهداف النائية التي أصبح بعضها في مدى البصر، ونحن ننظر فنرى عددًا من المعاهد والجامعات يتجاوب مع المهمة، ويتقبل مطالبها وشروطها برحابة صدر.. ومعاهد وجامعات أخرى تمدّ يديها تطلب الإعانة على خوض التجربة على هدى من الأمر وبينة. وننظر كذلك فنرى وعيًا متزايدًا بخطورة المهمة، وضرورتها، تنداح دوائره لكي تغطي مساحات ليست بالهيّنة في دوائر الأكاديمية والثقافة والإعلام.

إنّ عصور الفصام النكد بين العلم والإيمان آن لها أن تغدو من عصور التاريخ التي احتواها الماضي ففكت ارتباطها بالحاضر وتشبثها بالمستقبل.. عصور تجزئة السعي البشري وتشتت الإنسان وتبعثر العالم.. زمن الجدران الكالحة التي فصلت بين سائر الثنائيات بما لم ينزل الله بها من سلطان.

لقد آن للوئام أن يعود بين السماء والأرض.. بين الإنسان والعالم.. بين العقل والروح.. بين الجزئي والشامل.. بين الزائل والأبدي.. وبين الأرض الضيقة والكون الكبير.. وأن يرجع الإنسان ثانية إلى بارئه الذي أنشأه أول مرة، ودفعه إلى العالم واستعمره فيه، لكي تكون كل جزئية من جزئيات سعيه في الأرض، وكلّ عمل من أعماله فيها منذورًا لله.

وإن أسلمة المعرفة لها نشاط جادّ، من بين أنشطة أخرى، للتحقق بهذا كله..

وما هي إلا ملاحظات موجزة حول مسألة تفرض حضورها وثقلها يومًا بعد يوم.. ملاحظات قد تتضمن تكرارًا لما قاله آخرون.. وقد تحتوي إضافات جديدة متواضعة.

والأمر جدّ يحتم علينا جميعًا أن ننفر لكي نقول فيه كلمة، أو نسطر في سفره حرفًا.

فالجزاء، كما هو واضح بيّن، كبير عزيز.. ولا بد أن يكون الثمن، بالمستوى نفسه، كبيرًا عزيزًا..

ومن الله وحده التوفيق.. وهو حسبنا..

القسم الثاني

مخطط كتاب منهجي أكاديمي مقترح في التاريخ الإسلامي

مقـــدمـــة

من خِلال نظرة شمولية إلى التاريخ الإسلامي في مساراته ومصائره، يبدو ذلك الاتصال الوثيق بين المسببات والأسباب، ذلك التلاحم المحتوم بين المقدمات والنتائج، إنها النواميس والسنن التي حدّثنا عنها الله سبحانه في كتابه المبين.

ولقد أخطأ كثير من المؤرخين في فهم وحدة هذا التاريخ وطبيعة نسيجه ذي الخيوط الواحدة، أخطأوا لأنهم نظروا إلى هذا التاريخ نظرة تتسم بالتجزيئية والمباشرة والتقطع حينًا، وبقياس التحولات بمقاييس التغير الدائم في الأسَر الحاكمة حينًا آخر، دون أن يأخذوا بنظر الاعتبار حركة المجتمع الإسلامي ووحدته وصيرورته التي كانت تجد في قيم الإسلام ومبادئه ومثله مراكز ثقلها وضبطها، ومؤشرات تمخضها الدائم عن المزيد من الوقائع والأحداث.

وسيكون هذا البحث الموجز مجرد خطوط عريضة ومؤشرات شاملة، تتجاوز الجزئيات والتفاصيل من أجل تقديم تصور عام عن مجرى التاريخ الإسلامي في اتجاهاته كافة، وعن طبيعة العلاقة المتبادلة بين العقيدة والحركة عبر هذا التاريخ، وهي أشبه بالمفاتيح، أو الإضاءات المركزة، التي يمكن ـ بمعونتها ـ فهم وتفسير وقائع هذا التاريخ الغنية، المتشابكة المزدحمة، بعيدًا عن المنهج التقليدي في معالجة هذا التاريخ، ذلك المنهج الذي اجتمعت في نسيجه أكثر من نقيصة منها:

أولاً: اعتماد التبدل الفوقي في الأسر والحكام أساسًا للتقسيم الزمني.

ثانيًا: الرؤية التجزيئية التي تدرس هذا التاريخ أشتاتًا مبعثرة وتعجز عن لَمّ

الوقائع والتجارب لكي تعاين وتحلل من خِلال تشكلها الأكثر شمولية وارتباطًا، وعبر نسقها النوعي الذي تضمّ معطياته حشودًا زاخرة من الوقائع ترفد هذا المجرى أو ذاك.

ثالثًا: التأكيد المتضخم على الجوانب السياسية والعسكرية لهذا التاريخ، وتقليص مساحات الجوانب العقيدية والاجتماعية والحضارية.

رابعًا: ممارسة نوع من فكّ الارتباط المفتعل بين مجريات هذا التاريخ وبين التأثيرات الإسلامية العميقة في نسيجه وشرايينه وخلاياه.

خامسًا: تقطيع الظواهر التاريخية الكبيرة وبعثرتها من خِلال المعالجة الأفقية المتزامنة التي تسعى لدراسة كل عصر على حدة، بكل ما تخلق فيه من وقائع وأحداث، بدلاً من المتابعة العميقة، أو العمودية، لكل ظاهرة عبر مجرى التاريخ الإسلامي من منابعه الأولى حتى اللحظات الراهنة.

وبدلاً من هذا فإن المحاولة التي يجدها القارئ بين يديه تسعى لاعتماد منهج يستهدف المؤشرات والضوابط التالية:

أولاً: فهم التاريخ الإسلامي من خِلال وحدة الحركة، وكسر القشرة الخارجية للأحداث والتبدلات.

ثانيًا: التحقق برؤية شمولية تلم التفاصيل والجزئيات كي تستمد منها المؤشرات الأكثر امتدادًا لمعطيات التاريخ الإسلامي.

ثالثًا: تحقيق التوازن المطلوب بين الجوانب السياسية العسكرية والجوانب العقيدية والاجتماعية والحضارية.

رابعًا: تسليط الضوء على العلاقة الأصيلة المتبادلة بين الإسلام وبين وقائع التاريخ الإسلامي في آفاقها كافة.

خامسًا: متابعة الظواهر التاريخية الكبرى عموديًا كي لا تتعرض للتشتت والتقطيع، ولكي تتاح فرصة السيطرة على أبعادها وصيرورتها وصولاً إلى ملامحها الأساسية وسماتها المتفردة.

ومن أجل ذلك حاول هذا البحث الموجز أن يعالج التاريخ الإسلامي من خِلال رؤية جديدة لمجراه الزاخر، تجاوز خـلالها التقسيم التقليـدي للعصور الإسلامية إلى طرح هندسة جديدة لوقائعه ربّما تكون أكثر قدرة على لمّ شتاته وإضاءتها والكشف عن مغزاها، من خِلال إحالة وقائعه وأحداثه وتفاصيله على نسقها النوعي في مجرى الحركة التاريخية لتبين طبيعة النسيج الذي صارت إليه بعد طول ذهاب وإياب لِنَوْل الزمن على الخيوط التي كانت تغذيه.

تقوم هذه الهندسة المنهجية على معالجة أركان أو مساحات أساسية خمس في التاريخ الإسلامي هي:

أولاً: مسألة الحكم (القيادة).
ثانيًا: الانتشار.
ثالثًا: الهجوم المضاد.
رابعًا: حركة المجتمع (القاعدة).
خامسًا: المعطيات الحضارية.

وبمقدور أيّ باحث أن يحيل هذه الواقعة أو تلك، وذلك الحدث أو ذاك، مهما كبر أو صغر، إلى واحدة من هذه المساحات كما سنرى.. كل التفاصيل والجزئيات التي يعج بها مجرى التاريخ الإسلامي، يمكن فرزها وتمحيصها من أجل وضعها هنا أو هناك، عبر هذه المساحات أو الظواهر الخمس الأساسية.

هذا مع طرح تحفظ يبدو لبداهته أن ليس ثمة مبرر ـ حتى ـ للإشارة إليه، وهو أن هذه المساحات الخمس، بكل ما تتضمنه من تفاصيل وجزئيات تتداخل مع بعضها تداخلاً عضويًا صميمًا على مستوى التأثّر والتأثير.. الفعل والانفعال، بحيث يغدو من الصعوبة بمكان دراسة كل ظاهرة على حدة منفصلة بالكلية عن الظواهر الأخرى.

إن هذا أمر مستحيل ما دامت الحركة التاريخية تتميز بذلك التداخل والتشابك وتبادل التأثير والانفعال إلى الحدّ الذي تكاد معه أن تتوحد الظواهر والجزئيات في كلٍّ متماسك واحد.

إنّ التاريخ هو حركة حياة معقدة متشابكة في نهاية التحليل، وليس لهذا التقيسم المنهجي من مبرر مقنع سوى أنه يعين الدارس على فهم أعمق لمجرى الوقائع التاريخية، وقدرة أكثر على الإمساك بتلابيبها ومتابعة صيرورتها منذ لحظة التخلق الأولى وحتى لحظة اندماجها وفنائها في هذه الظاهرة أو تلك، شرط أن يحتفظ ذهنه دومًا بقدر من النقاء والتركيز يمكنه، كذلك، من فهم العلاقات المتبادلة بين الظواهر جميعًا.

ومهما يكن من أمر فإن هذا التقسيم المنهجي، بما أنه يعتمد قدر الإمكان متابعة النسق النوعي للوقائع والأحداث، فإنه سيكون أقرب إلى هذا المفهوم التشابكي للتاريخ من سائر المناهج التقليدية التي مارست التقطيع والعزل، وعجزت من امتلاك الرؤية الشمولية التي تلمح كافة الارتباطات بين الوقائع والأحداث الجزئية من جهة، وبين الظواهر الكبرى من جهة أخرى.

إنّ هذا البحث، مرة أخرى، يقتصر من خلال المنهج المذكور آنفًا، على تقديم مؤشرات عامة، وتحليلات تستهدف العثور على السمات الأساسية في حركة التاريخ الإسلامي عبر مجرياتها المختلفة[1]، دون خوض في الجزئيات والتفاصيل، وكذلك، دون تحميل الهوامش بالإحالات المتكررة إلى المصادر والمراجع، فليست مهمة الكتاب إعادة تركيب المادة الأولية للوقائع على أية حال.

وهذا العمل، في نهاية الأمر، لا يعدو أن يكون مدخلاً ـ وأؤكد على هذه الكلمة ـ إلى منهج جديد لفهم التاريخ الإسلامي وإدراك مقوماته الأساسية وهو أشبه بمشروع عمل ناقص ومفتوح قد يتحمل الكثير من الإضافات والتعديلات وأعمال الإغناء في المستقبل، ولكن هذه الإضافات لا تتعدى كونها مادة إضافية تندرج ضمن سياق هذا الجانب أو ذاك من بنيان المنهج الذي اعتمدتُه هنا والذي

---

(1) لا بد من الإشارة هنا إلى المحاولتين المبكرتين لمعالجة تاريخنا من منظور إسلامي أصيل أقرب إلى الموضوعية والإقناع، وهما كتاب الشيخ أبي الحسن الندوي: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) الذي صدر في منتصف الخمسينات وكتاب الأستاذ أنور الجندي: (الإسلام وحركة التاريخ) الذي صدر في أواخر الستينات.

يقوم على الخطوط أو التيارات الأساسية الخمسة التي تحرك عبرها تاريخ الإسلام.

ومعلوم أن أية محاولة للكتابة عن التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، بطبيعة الحال، في عمومها تتطلب العديد من المجلّدات لتغطية مساحات شاسعة في الزمن والمكان، ومتابعة حشود هائلة من الأحداث والوقائع والجزئيات عبر هذا المسار المتشعب الطويل. ويكفي أن نتذكر، على سبيل المثال، محاولتي المرحوم الدكتور حسن إبراهيم حسن (ستة مجلدات) والأستاذ الدكتور إبراهيم شلبي (عشرة مجلدات) لكي ندرك أن هدف هذا الكتاب يختلف منهجيًا عن هدفهما الذي أصبح اليوم يحتاج إلى لجان عمل تضم العديد من المؤرخين في شتى الاختصاصات، ولم يعد يكفي أن يقوم به هذا المؤرخ منفردًا أو ذاك.

تمهيد: الشروط والضوابط المنهجية لكتابة التاريخ الإسلامي:

هنالك بطبيعة الحال حَشْد من الشروط والضوابط الأساسية يجب اعتمادها لدى أية محاولة جادّة لكتابة التاريخ الإسلامي أو تدريسه، ولكننا سنكتفي بإيراد أكثرها أهمية:

أولاً: التأكيد على ضرورة ملاحظة ملامح التفسير الإسلامي للتاريخ من جهة، والقيم الأساسية التي يتمخض عنها تحليل التاريخ الإسلامي نفسه في توجهاته الشمولية من جهة أخرى، والالتزام بمؤشراتها ومعطياتها نقاط ارتكاز ومنطلقات عمل، من أجل أن يأتي النسيج متوحدًا، ومن أجل تجاوز التضارب والارتطام والتفتّت في المعطيات.

ثانيًا: يتحتم الالتفات، منذ البداية، إلى حقيقة أن العمل التاريخي الجاد بحاجة إلى البُنَاة الذين يملكون الحسّ النقدي بطبيعة الحال، أكثر منه إلى النقّاد... إن قضايا كثيرة في تاريخنا وحضارتنا لا تزال تنتظر من يكشف النقاب عنها أو يعيد عرضها بالأسلوب الذي يقدمها كما تخلّقت فعلاً... أما ملاحقة معطيات لآخرين، كشفًا عن خطأ فيها، ودفاعًا عن قيمة ما في تاريخنا وفكرنا فيبدو أمرًا ثانويًا يتوجب ألا يحتل الخط الأمامي إلاّ بعد أن يتمّ القدر الأكبر من مساحات البد تكويناته. ومع ذلك فإن العملية النقدية، ما دامت تتضمن قدرًا من الإنجاز

البنائي في جانب ما من جوانب الفكر أو التاريخ، تغدو جديرة بالممارسة هي الأخرى شرط ألّا تكون هدفًا بحد ذاتها.

باختصار، فإن التوجّه الأكثر أهمية وجدوى يجب أن يتجاوز الدفاع المتشنج إزاء كل ما طرحه الخصوم حول هذه النقطة أو تلك في مجرى التاريخ الإسلامي، صوب أبحاث في تكوين التاريخ والحضارة الإسلامية، نظمًا وصيرورة، وأعمال بنائية في هذا الجانب أو ذاك، تقدم بذاتها القناعات الموضوعية التي تتهافت عندها مقولات الخصوم.

ثالثًا: تحقيق قدر من التوازن بين دراسة الجوانب السياسية ـ العسكرية وبين فحص الجوانب الحضارية وتحليلها، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة أن ينظر إلى المعطيات الحضارية باعتبارها أجزاء متفرقة تنتمي إلى كل أوسع يتضمنها جميعًا ويمنحها معنى وهدفًا.

وليس من الضروري، بصدد هذه النقطة، أن يقف الباحثون عند سائر التفاصيل والجزئيات التي تعج بها مصادرنا القديمة، وبخاصة في ما يتعلق بالجوانب السياسية والعسكرية من تاريخنا، ليس من الضروري أن يقع الباحث أسير هذا الحشد الزاخر من النصوص، ولا بد له ـ إذن ـ من أن يتجاوز الجزئيات إلى الكليات، والوقائع الصغيرة إلى الدلالات الخطيرة، ولا يقف عند حدود النص أو الواقعة بل يتعداها إلى معناها العميق ودلالاتها الموحية، وحينذاك سيقدر على تحقيق عملية الاختزال والتركيز. إذ أن كل مجموعة من التفاصيل والجزئيات تندرج تحت هذا المعنى أو ذاك، وتمنحنا هذه الدلالة أو تلك، في سياق الحركة التاريخية الأكبر حجمًا، ومن ثم تغدو هذه الجزئيات عبارة عن مواد كمية، أو نماذج متشابهة، يمكن اعتماد عدد محدد من عيناتها للتوصل إلى الصيغة البنائية الأكبر للواقعة التاريخية، والتخلص، بالتالي، من ركام التفاصيل الذي يثير من الإرباك في ذهن القارىء أكثر مما يحقق من سيطرة على الحركة التاريخية وتفهم لصيرورتها.

رابعًا: تحقيق قدر من التوازن بين العرض الأكاديمي الصرف للوقائع التاريخية، سياسية وحضارية، وبين اتخاذ مواقف فلسفيّة لتفسير هذه الوقائع وتبين

عوامل تكوينها ومؤثرات مساراتها وحصيلة مصائرها، شرط أن تندرج هذه المواقف جميعًا في رؤية نوعية متجانسة، وتلتزم الحد الأدنى المشار إليه من الأسس والمواضعات المستمدة من خامة التاريخ الإسلامي نفسه، من صميم نسيجه، غير المقحمة عليه من الخارج . . . فلا تتخذ إحداها التفسير المادي منطلقًا لها بينها تنحو الأخرى نحو المثالية أو الحضارية أو الروحية، وإنّما تسعى هذه المواقف قدر الإمكان إلى اعتماد أكثر الفلسفات انسجامًا وتناغمًا مع حركة التاريخ الإسلامي وإيقاعه، وأكثرها قدرة على استنباطه وتفسيره.

خامسًا: الأخذ بأسلوب نقدي رصين في التعامل مع الروايات التي قدمتها مصادرنا (القديمة) وعدم التسليم المطلق بكل ما يطرحه مؤرخنا القديم، وإحالة الرواية التاريخية، قبل التسليم النهائي بها، على المجرى العام للمرحلة التاريخية لمعرفة هل يمكن أن تتجانس في سداها ولحمتها مع نسيج تلك المرحلة لحمة وسدى؟ هذا فضلاً عن ضرورة اعتماد مقاييس النقدين الخارجي والباطني ومعاييرهما وصولاً إلى قناعة كافية بصحة الرواية.

ويمكن الإفادة في مجال النقد الخارجي، إلى حد ما، من علمي: «مصطلح الحديث» و «الجرح والتعديل» اللذين مورسا على نطاق واسع في عمليات تمحيص الأحاديث النبوية، ومن كتب التراجم الغنية الخصبة، فما من أمة في الأرض عنيت بتمحيص مصادر أخبارها وتاريخها كالأمة الإسلامية، فهنالك تراجم لنصف مليون رجل أسهموا جميعًا في تقديم الأحاديث والأخبار والروايات التاريخية التي لا يمكن توثيقها والأخذ بها إلا بعد فحص أولئك الرجال الذين تناقلوها. ومن ثم فإن دراسة التاريخ الإسلامي دراسة جادة تستلزم، بالضرورة، دراسة هذا الموضوع الخطير لكي تقوم الأعمال التاريخية معتمدة على أوثق المصادر وأدق الأخبار ومنقحة من الدسائس والسموم وسيل الروايات الموضوعة التي نفثتها القوى المضادة في جسد تاريخنا المتشابك الطويل.

ولا بد من الإشارة هنا إلى الملاحظة القيّمة التي أبداها «محب الدين الخطيب» حول هذا الموضوع فهو يشير إلى أن تاريخ الطبري الكبير «لا يمكن الانتفاع بما فيه

من آلاف الأخبار إلا بالرجوع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل. وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوي، ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف. ولا نعرف أمة عني مؤرخوها بتمحيص الأخبار وبيان درجاتها وشروط الانتفاع بها، كما عني بذلك علماء المسلمين، وأن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي. أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم، ولا يتعرفون إلى رواتها، ويكتفون بأن يشيروا في ذيل الخبر إلى الطبري: رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني، يظنون أن مهتمهم انتهت بذلك، فهؤلاء من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي من ألوف الأخبار، ولو أنهم تمكنوا من علم «مصطلح الحديث» وأنسوا بكتب الجرح والتعديل واهتموا برواة كل خبر، كاهتمامهم بذلك الخبر، لاستطاعوا أن يعيشوا في جوّ التاريخ الإسلامي، ولتمكنوا من التمييز بين غثّ الأخبار وسمينها، ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها»[1].

والطبري نفسه يقول في مقدمة كتابه عباراته المعروفة «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهًا صحيحًا، ولا معنى في الحقيقة، فليفهم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتي من بعض ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا».

سادسًا: يقابل هذا ضرورة الاعتماد في بناء البحث التاريخي على الواقعة نفسها دون الوقوع في مظنة اعتماد هياكل مرسومة مسبقًا، ووجهات نظر مصنوعة سلفًا، ومحاولة تطويع الوقائع وإرغامها على الانسجام مع هذه الهياكل والوجهات حتى ولو أدى هذا إلى تشويه ملامح الواقعة التاريخة، أو إعادة تركيبها، لكي تنسجم والأطروحات المسبقة، مما نجده واضحًا، على سبيل المثال، في الدراسات التي تنطلق من المفهوم المادي في تفسير التاريخ، الأمر الذي أوقعها في بحر من الأخطاء والتناقضات. ونحن نجد هذا، مثلاً، في موقفهم من حركة الرسول ﷺ «فبعضهم يرى أن المجتمع العربي (في مكة والمدينة) شهد بداية تكوين مجتمع يمتلك الرقيق. بينما يرى «بيجو لغسكايا» أن القرآن الكريم يشعر بتركز مرحلة ملكية الرقيق

---

(١) المراجع الأولى في تاريخنا: مجلة الأزهر، المجلد ٢٤ جـ٢، ص ٢١٠ صفر ١٣٧٢ هـ.

ويذهب مع «بلاييف» إلى آن المرحلة الإقطاعية هي من آثار اتصال العرب بالشعوب الأخرى. هذا ويرى آخرون أن المجتمع الإقطاعي بدأ بالتكون فعلاً، ومنهم من يرى أن الإسلام يلائم مصالح الطبقات المستغلة الجديدة من ملاك وأرستقراطية الإقطاع مثل «كليموفيج»، ومنهم من يراه في مصلحة أرستقراطية الرقيق فقط، في حين أن البعض مثل «بلاييف» يرى أن الإسلام المتمثل بالقرآن لا يلائم المصالح السياسية والاجتماعية للطبقات الحاكمة، فلجأ أصحابه إلى الوضع في الحديث لتبرير الاستغلال الطبقي الجديد. وفي حين أن بعضهم يقول إن الأرستقراطية وحدت القبائل العربية لتحقيق أغراضها، يقول غيرهم إن القبائل كانت تتوثب للوحدة فجاء الإسلام موحدًا يعبر عن ذلك التوثب. ويضطرب الموقف من نشأة الإسلام بذاته، فبينما يدّعي «كليموفيج» أن محمدًا ﷺ واحد من عدة أنبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد وأرادوا توحيد القبائل، يذهب «تولستوف» إلى نفي وجود النبي العربي ويعتبره شخصية أسطورية. وبينما يعترف البعض بظهور الإسلام يذهب «كليموفيج» إلى أن جزءًا كبيرًا منه ظهر فيما بعد، في مصلحة الإقطاعيين، ونسب أصله إلى فعاليات معجزة لمحمد. وتجاوز «تولستوف» إلى أن الإسلام نشأ عن أسطورة صنعت في فترة الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة، وهي أسطورة مستمدة من اعتقادات سابقة تسمى الحنفية»[1].

سابعًا: كما أنه يتوجب، في مقابل هذا وذاك، اتخاذ موقف علمي تجاه معطيات المستشرقين، الغربيين والشرقيين، على مستوى المنهج والموضوع وعدم التسليم المطلق بها أو تجاوزها كليّة، لأن هذه المعطيات تتضمن الجيد والرديء... الأبيض والأسود... والموقف الجاد الذي يعرف كيف يفيد مما تقدمه الحركة الاستشراقية دون الوقوع في أسرها على حساب الحقيقة التاريخية.

وهنا أحب أن أقف قليلاً لتبيان بعض المسائل الأساسية حول هذه النقطة بالذات:

---

(١) د. عبد العزيز الدوري وزملاؤه: تفسير التاريخ، مقال: التاريخ والحاضر، منشورات مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٣ م.

إن مناهج البحث الغربية (نصرانية ومادّية) لا يمكنها بحال أن تقدم تفسيرًا معقولاً شاملاً متماسكًا لتاريخنا الإسلامي، فهي إن نجحت في تفسير التاريخ الغربي وتقويمه فستخفق حتمًا في تفسير التاريخ الإسلامي وتقويمه. ذلك إنها مناهج لا تقوم على أساس (متوازن) ينظر إلى القيم الروحية والمادية كعوامل فعّالة مشتركة في صنع التاريخ، بل، على العكس، تسعى بدافع من ماديتها أو علمانيتها إلى ترجيح الدافع المادي وتقليص مساحة الدوافع الروحية في حركة التاريخ، بل طمسها أحيانًا، وإنكارها أساسًا، في أحيان ثالثة، كعوامل في صيرورة التاريخ البشري.

وهذه المناهج، من جهة أخرى، تقدم تاريخ العالم كله، وبضمنه تاريخنا نحن، من زاوية نظر غربية إقليمية، تجعل أوروبا مركزًا للعالم تدور حول قطبه كل المساحات الأخرى في الأرض، وما عليها من دول وشعوب وحضارات، حيث تغدو في معظم الأحيان أشبه بالظلال الباهتة لهيكل التاريخ الأوروبي العالي، الذي يتميز بالكثافة والامتلاء والإشعاع، ولا بد من الإشارة إلى تعليق الكاتب النمساوي «ليوبولدفايس: محمد أسد» على هذه الرؤية القاصرة فهو يقول: «لقد مال المفكرون والمؤرخون الأوروبيون، منذ عهد اليونان والرومان إلى أن يتبصروا بتاريخ العالم من وجهة نظر التاريخ الأوروبي والتجارب الثقافية الغربية وحدها. أما المدنيات غير الغربية فلا يعرف لها إلا من حيث أن لوجودها أو لحركات خاصة فيها، تأثيرًا مباشرًا في مصائر الإنسان الغربي. وهكذا فإن تاريخ العالم وثقافاته العديدة، لا يعدو أن يكون في أعين الغربيين تاريخًا موسعًا للغرب. وطبيعي أن النظر من هذه الزاوية الضيقة لا بد أن يوقع العين على مشهد مشوّه غير سليم. إن الأوروبي أو الأميركي العادي، بما اعتاد أن يطالع من الكتب التي تعالج أو تبحث مسائل مدنيته الخاصة بتبسيط وتوسع يضفيان عليها ألوانًا حيّة، دون أن تلقي على سائر أجزاء العالم سوى نظرات هنا أو هناك، ليستسلم ويرضخ بسهولة ويسر إلى الوهم الخادع الذي يصور أن الخبرات الثقافية الغربية، ليست أسمى من سائر الخبرات الثقافية في العالم كله فحسب، بل لا تتناسب معها على الإطلاق، وبالتالي إن طريقة الحياة الغربية هي النموذج الصحيح الوحيد الذي يمكن أن يتخذ مقياسًا للحكم على سائر طرائق الحياة، لأن كل مفهوم ثقافي أو مؤسسة اجتماعية أو تقييم أدبي يتعارض مع النموذج

الغربي، إنّما ينتمي، حتمًا، إلى درجة من الوجود أدنى وأحطّ. ومن هنا نرى أن الغربي، تمثلاً باليونان والرومان، يجب أن يعتقد أن جميع تلك المدنيات ليست، أو لم تكن، إلّا تجارب متعثرة في طريق الرقي، هذا الطريق الذي تتبّعه الغرب بكثير من السداد والعصمة من الخطأ. أو أنها في أفضل الأحوال ـ كما هي الحال في مسألة المدنيات السالفة التي سبقت مدنية الغرب الحديث مباشرة ـ ليست أكثر من فصول متتابعة في كتاب وحيد فريد آخره، من غير شك، المدنية الغربية»[1].

وما من شكّ في أن أشدّ متطلبات إعادة كتابة التاريخ الإسلامي أو عرضه وتحليله إلحاحًا هي تخريج وتكوين مثقفين معتزين بتاريخهم وأمتهم وحضارتهم، شاعرين في قرارة نفوسهم بالاستعلاء الثقافي والحضاري على بقية الأمم والتواريخ والحضارات، لا سيما وأن الشرق عامة، والأمة الإسلامية خاصة، تمثل في حضارتها، كما سبق ومرّ بنا، لقاءات معطاءة بين السماء والأرض، وتنبثق، في كثير من الأحيان، عن مصادر عليا للمعرفة والتوجيه، وأن هذه النقطة بالذات هي ما يجب أن يؤكد عليه دائمًا في منهج البحث الجديد لكي نغرس في كيان المثقفين مشاعر الاستعلاء وإبعاد أي شعور بالنقص تجاه الحضارات الأخرى، وقطع الطريق على أية محاولة لتعزيز التبعية الفكرية لدى هؤلاء.

ثم إن هذه المناهج الغربية، من جهة ثالثة، عندما تدرس تاريخنا بالذات تتحكم فيها عصبيات شتى ورواسب نفسية ومخلفات ثقافية تاريخية وأطماع سياسية واقتصادية، وتحزّبات دينية ومذهبية وأيديولوجية وعرقية، لكونها نشأت وتبلورت في القرن الذي بلغت فيه حركة الاستعمار القديم للعالم الإسلامي المتعب، أوجها.. ولنستمع إلى «ليوبولد فايس (محمد أسد)» مرة أخرى وهو يحلل هذه المواقف الفكرية المتعصبة تجاه أوطان غدت في نظر الصليبية الثانية أرضًا مواتًا يجب إحياؤها لصالح الكنيسة والدولة الغربية. إنه يقول: «أما فيما يتعلق بالإسلام فإن الاحتقار التقليدي أخذ يتسلل في شكل تحزّب غير معقول إلى بحوثهم العلمية، وبقي هذا الخليج الذي حفره التاريخ بين أوروبا والعالم الإسلامي (منذ الحروب الصليبية) غير

---

(١) الطريق إلى مكة، ط ١، ص ١٧ ـ ١٨ ترجمة عفيف بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.

معقود فوقه بجسر، ثم أصبح احتقار الإسلام جزءًا أساسيًا من التفكير الأوروبي. والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشّرين نصارى يعملون في البلاد الإسلامية، وكانت الصورة المشوّهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدبّرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوروبيين من الوثنيين. غير أن هذا الالتواء العقلي قد استمر، مع أن علوم الاستشراق قد تحررت من نفوذ التبشير، ولم يبق لعلوم الاستشراق هذه عذر من حمية دينية جاهلية تسيء توجيهها. أما تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلقتها الحروب الصليبية، بكل ما لها من ذيول، في عقول الأوروبيين»[1].

ومن ثم فإن تطبيق هذه المناهج في تأليف وتدريس التاريخ الإسلامي في مؤسساتنا وجامعاتنا قد أتى ثماره المرة منذ أول جيل خرجته هذه الجامعات، وسيظل يقدم هذه الثمار إلى أن يُحدث المؤرخون الأكاديميون انقلابًا جذريًا في الأسس التي يعمل بموجبها في التأليف والتدريس.

إن تطبيق منهج قاصر في دراسة التاريخ الإسلامي، من شأنه أن يغفل واحدًا أو أكثر من ملامحه الأساسية ومقوماته الأصيلة، سيؤدي ولا شك إلى فهم ناقص وتحليل مضطرب لمعنى هذا التاريخ وطبيعة مجراه... إن المهندس الميكانيكي لا يطلب منه رسم تصميم لعمارة شاهقة، وعالم الفيزياء لا يجازف بإقامة جسر على نهر عظيم، والمهندس المعماري، بدون أدوات الرسم ومستلزماته، لا يستطيع تجسيد ما في مخيّلته من مساحات وأبعاد. وهكذا فإن تطبيق المنهج المادي العلماني الغربي، بقطاعيه النصراني والديالكتيكي، في دراسة تاريخنا، أحدث من الأخطاء والثغرات ما قد آن الأوان لتداركه على أيدي الرجال المخلصين الذي سيأخذون على عاتقهم مهمة إعادة عرض التاريخ الإسلامي وتحليله وفق منهج يقدم من الأدوات والإمكانات ما يساعد المؤرخ على عرض وقائع هذا التاريخ بأكبر قدر من الأمانة والموضوعية.

ولا ريب إن من أهم سمات هذا المنهج أنه شامل لكل الدوافع والقيم التي

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ط ٦، ص ٦٠ - ٦١، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت.

تصنع التاريخ، غير عاجز أمام حدود الواقع الملموس الظاهر للعيان، ويتيح من الرؤية البعيدة ما يستطيع المؤرخ معها أن يقدم تقييمًا أصيلاً لأحداث التاريخ الإسلامي وشخصياته.

إن تاريخنا الإسلامي لفي حاجة ماسة إلى طبقة جديدة من المؤرخين يعيدون عرض هذا التاريخ وتحليله بكل حيويته وتدفقه وامتداداته الأفقيه والعمودية وعناصره الظاهرة والباطنة مما سيتيح، بلا شك، فهمًا أعمق لهذا التاريخ وإدراكًا أشدّ تركيزًا لعناصر تطوره، ورؤية أكثر وضوحًا لخطوط سيره ومنعطفاته الفاصلة. . .

ثامنًا: يجب ألا يقع العاملون في حقل المنهج الجديد للتاريخ الإسلامي تحت وطأة المواضعات المعاصرة في كافة مناحي الحياة البشرية: السياسية والاقتصادية والأخلاقية والروحية والاجتماعية، لأن هذا من شأنه أن يصبغ رؤيتهم للتاريخ الإسلامي بألوان تستمد تركيبها من واقع عصرنا الراهن، الأمر الذي يفسد موضوعية الرؤية، وبالتالي يصد المؤرخ عن الوصول إلى كنه الوقائع التاريخية التي قد لا تمت بصلة إلى موضوعات القرن العشرين. صحيح أن على المؤرخ أن يستفيد من كل ما يقدمه هذا القرن من علم وأدوات (موصّلة) أو مساعدة على كشف الحقيقة التاريخية، ما كان بميسور مؤرخنا القديم أن يحظى بعشر معاشرها، لكن الاعتماد على هذه العلوم، وأكثرها ميداني أو تجريبي، للإعانة على كشف الواقعة التاريخية شيء، والتأثر بفلسفة العلم الظنية التخمينية، وما أحدثته من نتائج سيئة في عالمي النفس والمجتمع، في ميداني الضمير والسلوك، شيء آخر، قد يجعل المؤرخ أسير مواضعات زمنية نسبيّة متغيّرة تفرض عليه نمطًا من التفكير في تعامله مع خضم الوقائع التاريخية، فلا يراها كما يوجب البحث الموضوعي أن يراها، وإنما يقوم، إذا صح التعبير، بعملية تمرير لهذه الوقائع من خِلال تلك المواضعات، فما تلبث أن تفقد لونها الأصيل وملامحها الخاصة وشخصيتها المتميزة، لكي تقتبس ألوان هذه المواضعات وملامحها وخطوطها. . . وتضيع. .

تاسعًا: من المستحسن، إزاء ذلك كلّه، أن توضع مؤشرات عمل في

الاتجاهات النقدية الثلاثة التالية:

(أ) نقد الرواية الأساسية لدى المؤرخ القديم، وتصنيف الروايات بحسب قوتها وضعفها.

(ب) نقد مواقف فلاسفة التاريخ، الذين تعاملوا مع تاريخنا ودرسوا جوانب منه، وتحديد مدى قرب معطياتهم أو بعدها عن الحقيقة التاريخية.

(ج) نقد معطيات الحركة الاستشراقية، بجناحيها النصراني والمادي، وتحديد المساحات التي يمكن الإفادة الفعّالة منها، وتلك التي يجب تجنبها، مع تبيان أبعادها اللاموضوعية.

عاشراً: تقديم عروض تاريخية متوازية زمنيًا بين ما كان يجري في مرحلة ما من مراحل التاريخ الإسلامي، وما كان العالم المحيط يشهده في المرحلة نفسها من أحداث، من أجل تكوين نظرة شمولية لدى الدارس أو القارىء، تمكّنه من فهم طبيعة العلاقات بين الإسلام والعالم الخارجي من خلال تحقيق قدر من السيطرة على ما كان يحدث في المرحلة التاريخية ـ الزمنية الواحدة.

أحَدَ عشر: هل يتوجب إعادة تقسيم الفترات الزمنية لمراحل التاريخ الإسلامي، على ضوء المعطيات الجديدة لهذا المنهج، وتجاوز، أو تعديل، الصيغ التقليدية لهذا التقسيم والتي غدت لطول أمدها ولشدة تكرارها والأخذ بها، بمثابة المسَلّمات التي لا تقبل نقضًا ولا جدلاً؟.

نعم... وبكل تأكيد لا سيما إذا تذكرنا وحدة الحركة التاريخية وصيرورتها المتواصلة وامتدادها المستمر إلى نسيج الأمم والشعوب الإسلامية بعيدًا عن التبدل الفوقي في الأُسَر والنظم والحكام... هنالك حيث تتحقق التبدلات التاريخية وفق معادلات زمنية تختلف بالكلية عن معادلات التبدل في الدول والنظم والسياسات.

وهكذا يبدو ضروريًا اعتماد مقاييس التغير النوعي في الحركة التاريخية بين مرحلة ومرحلة، وعصر وعصر، وعلى سائر المستويات السياسية والعقيدية والحضارية، أي أن التقسيم الزمني للمراحل التاريخية يجب ألا ينصب على المتغيرات

الفوقية بل يمتد إلى قلب المجتمع في تمخضه وتحوله الدائم.

أما على المستوى المكاني فإن الأفضل اعتماد الوحدات الحضارية (المتنوعة) ضمن إطار وحدة الحضارة الإسلامية، هذه الوحدات المتميزة التي قد تشهد أكثر من كيان سياسي وقد تمتد إلى أكثر من بيئة جغرافية أو إقليم.

اثنا عشر: حيثما اكتشف تناقض حاسم بين التجربة التاريخية الواقعة وبين النص (أو الرواية) التاريخية... حيثما توجب **اعتماد التجربة** الأكثر ثقلاً وتحققًا وإقناعًا، والأشدّ تلاؤمًا مع الصيرورة التاريخية نفسها...

وعلى سبيل المثال، فقد جابهت الدولة الإسلاميّة في صدر الخلافة الراشدة أخطر التجارب في تاريخها: الثورة المضادة المعروفة بالردّة... مجابهة عسكرية ومصيرية حاسمة مع نظم العالم القائمة يومذاك.. تحديات حضارية دائمة تتطلب استجابات ناجحة باستمرار... لقد كانت الأمة الإسلامية أمام امتحانها العسير.. وكان عليها أن تنجح أو أن تنتكس... ولقد نجحت في نهاية الأمر على المستويات الثلاثة.

وحركة التاريخ **الثقيلة** هذه، ما كان لها أن تتحقق هذا التحقق لو كانت الأمة الإسلامية، والدولة الجديدة، تعاني في قياداتها العليا انشقاقًا خطيرًا... إن التجربة أكثر إقناعًا، ولا ريب، من مجرد **النصوص الإخبارية** التي لا مردود لها على مستوى الفعل التاريخي إزاء التحديات الكبرى.

إننا نرى أيضًا، وعلى سبيل المثال، كيف أن الفتوحات الإسلامية قطعت أشواطًا واسعة مذهلة في عهد الخليفتين الأولين والسنين الأولى من عهد الخليفة الثالث، ثم ما لبثت أن توقفت فترة من الزمن لكي تعود فتستأنف قدرتها على الإنجاز في عهد معاوية. وإننا لنرى، أيضًا، كيف لم يتقدم الأمويّون في خِلافة عبد الملك أو سليمان (فيما عدا مجازفة القسطنطينية)، بينما فتحوا المشارق والمغارب في خِلافة الوليد.

إن الوقائع التاريخية المنظورة هنا لا تعطي للصدفة أية مساحة في الفعل

التاريخي... ولا ريب أن هنالك قانونًا يفسر: لماذا، عبر هذا المدى الزمني القصير نسبيًا، تحققت ظاهرة الفتح مرّتين وتوقفت مرتين؟ والجواب، إزاء الإنجازات التاريخية الكبرى، يكمن دائماً في وحدة الأمة ووحدة قيادتها... في تجمع طاقاتها، في مرحلة ما من مراحل التاريخ، وقدرتها على صنع الإنجاز الكبير. وعليّ نفسه (كرم الله وجهه) كان ينطلق من دور الشيخين (رضي الله عنهما) في صنع هذا الإنجاز عندما كان يعلن من على منبر الكوفة، بعد توليه الخلافة، أكثر من مرة «ألا أن خير هذه الأمة، بعد نبيها، أبو بكر وعمر»، وعندما كان يقول: «لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حدّ المفتري» وعندما سُئل عن أبي بكر فأجاب: «ذاك امرؤ سماه الله الصدّيق على لسان جبريل وعلى لسان محمد ﷺ، رضيه ﷺ لديننا فرضيناه لدنيانا».

أما ما ذكرته حشود الروايات والأخبار، التي تنوقلت ودوّنت بعد عشرات العقود من هذا التحقيق التاريخي الفذّ، والتي تقدم معطياتها باتجاه مضاد: التَّفَتُّت والتطاحن والتمزّق وصراع المصالح والفتن والأهواء... فإنها لا يمكن أن تصمد بحال أمام ثقل الواقعة التاريخية نفسها.

ثلاثة عشر: سيكون من فضول القول التأكيد على ضرورة التنويع في اعتماد المصادر القديمة ما بين كتب التاريخ العام والحوليات وتواريخ الأقاليم والمدن وكتب الخطط والجغرافية والرحلات والتراجم والسير والطبقات والأحكام وتاريخ الأدب والأنواع الأدبية.... إلى آخره... لأن إغناء الجانب الحضاري، بخاصة، في التاريخ الإسلامي لا يتحقق إلاّ بهذا التنويع... ولأن مقابلة الروايات والنصوص ومناقشتها وصولاً إلى الحقيقة التاريخية، لا يتأتى إلا بالانفتاح على هذا الحشد الزاخر من أنماط المصادر التي ترفد العمل التاريخي من مناح شتى...

أربعة عشر: وسيكون من فضول القول، كذلك، التأكيد على ضرورة اعتماد منهج أو أسلوب البحث العلمي الحديث وطرائقه ومعطياته المتعارف عليها عالميًا والتي غدت أشبه بالبداهات التي لا تقبل نقضًا أو تحويرًا[1]... وهي في حقيقتها

(١) انظر على سبيل المثال: حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، أسد رستم: مصطلح التاريخ.

إرث إنساني مفتوح أسهمت في صنعه شتى الأمم ومختلف الحضارات، وكان لحضارتنا الإسلامية دور بارز فيه[1].

إن هذه الطرائق والمعطيات التي تبدأ بوضع «خطة البحث» وتنتهي بتنظيم فهارسه مرورًا بتحليل المصادر والمراجع، وتجميع المادة، وتصنيفها ونقدها وتركيب المادة التاريخية... إلى آخره... فيما يمكن تسميته بتنقية البحث، إنما تمثل الحد الأدنى الملزم والمتفق عليه بين كافة الباحثين، هذا إلى أنها لا تعدو أن تكون أداة «حيادية» باعتبارها وسيلة تقنية صرفة لخدمة البحث التاريخي في كافة آفاقه وميادينه.

خمسة عشر: ولا بدّ من الإشارة أخيرًا ـ وليس آخرًا ـ إلى أن الدعوة لإعادة كتابة أو عرض التاريخ الإسلامي وتحليله لا تعني، بالضرورة، البدء من نقطة الصفر، أو الرفض المطلق للصيغ التي قدمها بها مؤرخونا القدماء، ومحاولة قلب معطياتهم رأسًا على عقب... ومن يخطر على باله أمر كهذا فهو ليس من العلم في شيء.

والمقصود شيء آخر يختلف بالكلية: **منهج عدل** يتعامل مع معطيات الأجداد بروح علمية مخلصة، فيتقبل ما يمكن تقبله، ويرفض ما لا يحتمل القبول، ويقدر عطاء الروّاد حقّ قدره، دون أن يثنيه ذلك عن متابعة آخر المعطيات المنهجية والموضوعية التي يطلع علينا بها العصر الحديث، وأشدها صرامة... موقف وسط... يرفض الاستسلام للرواية القديمة ويأبى إلغاءها المجاني من الحساب...

تاريخ الطبري... والكومبيوتر... تلك هي باختصار معادلة المنهج المطلوب وشعاره أيضاً.

---

(١) انظر على سبيل المثال: فرانز روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة د. أنيس فريحة، وعلم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د. صالح أحمد العلي، ود. مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب.

مَسْأَلَةُ الحُكْم: القِيَادَة

١ ـ طبيعة المنظور الإسلامي للمسألة في القرآن والسنة.

٢ ـ عصر الرسالة: مقومات الدولة في المدينة.

٣ ـ العصر الراشدي:

- انتخاب أبي بكر وبرنامجه السياسي.
- انتخاب عمر وبرنامجه السياسي.
- انتخاب عثمان وبرنامجه السياسي.
- انتخاب علي وبرنامجه السياسي.
- الملامح الأساسية للانتخاب في العصر الراشدي.

٤ ـ الفتنة في خلافتي عثمان وعلي:

- الدوافع.
- المعطيات.
- النتائج.

٥ ـ العصر الأموي:

- عام الجماعة وقيام الدولة الأموية.
- تقويم عام لنظام الحكم في العصر الأموي.
- الدور السيّء للعصبية القبلية.

- محاولة عمر بن عبد العزيز الإسلامية.
- إجراءات يزيد بن عبد الملك المضادة وسقوط الدولة الأموية.

٦ - العصر العباسي الأول:
- العباسيون ووحدة العقيدة والعالم الإسلامي.

٧ - العصور العباسية التالية:
- عصر الأتراك.
- عصر البويهيين.
- عصر السلاجقة.
- عصر الإحياء.
- سقوط الخلافة العباسية.

٨ - الدويلات الإسلامية وظاهرة التجزؤ:
- تقويم عام للظاهرة.
- الدور العقيدي والحضاري.
- أهم دويلات المغرب: (الأدارسة - الأغالبة - المرابطون - الموحدون).
- أهم الدويلات في مصر: (الطولونيون - الأخشيديون - الفاطميون - الأيوبيون).
- أهم دويلات الجزيرة الفراتية والشام: (الحمدانيون - العقيليون - الأتابكة - الأيوبيون).
- أهم دويلات الجزيرة العربية واليمن: (الصليحيون - بنو نجاح - القرامطة - الأيوبيون).
- أهم دويلات المشرق: (الطاهريون - الصفاريون - الزيديون - السامانيون - الغزنويون - الغوريون).

٩ - المغرب والأندلس والبحر المتوسط وجنوبي أوروبا: (عصر الإمارة - عصر الخلافة - عصر الطوائف وانهيار الوجود الإسلامي في الأندلس - تقويم عام للتجربة الإسلامية في الأندلس والمتوسط وجنوبي أوروبا).

١٠ ـ عصر ما بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد: (المغول الإيلخانيون في العراق وإيران ـ المماليك في مصر والشام ـ الجلائريون في العراق وإيران ـ الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق ـ العصر التيموري ـ تقويم عام).

١١ ـ العصر العثماني: (الحاجة التاريخية للقيادة العثمانية ومرحلة الحيوية ـ مشكلة عدم التوازن بين ضرورات التفوق العسكري والتقدم الحضاري ـ تدهور الدولة والمؤامرة الغربية الصهيونية ـ سقوط السلطان عبد الحميد وانهيار السد الإسلامي بمواجهة التحديات ـ تقويم عام).

١٢ ـ تحليل لعوامل التدهور والسقوط التي ساقت القيادات والسلطات الإسلامية عبر التاريخ إلى مصائرها: (السنن الإلهية ـ غياب الدافع العقائدي ـ تباطؤ حركة الجهاد ـ طبيعة نظم الحكم من حيث درجة المرونة والصلابة ـ التحدي والاستجابة ـ اختلال ميزان القوى الدولية ـ الامتداد المكاني ـ تنوع العناصر ـ الطموح الفردي ـ الازدواج في السلطة ـ التناحر الحزبي والقبلي والمذهبي الخ . . . ـ انعدام مبدأ تكافؤ الفرص ـ الظلم الاجتماعي والنقمة الشعبيّة ـ اختلال التوازن بين القيم الروحية والمادية).

١٣ ـ محاولات العودة بالقيادة إلى إطارها الإسلامي: نماذج لمحاولات التغيير الجزئي ـ تحليل للمحاولات الانقلابية الشاملة (عمر بن عبد العزيز ـ نور الدين محمود زنكي ـ حكومة الجماعة الشورية في قرطبة بقيادة الوزير أبي الحزم جهور بن محمد. . . الخ) ـ دراسة لحركات المعارضة وجُذورها الإسلامية جوانب السلب والإيجاب في نسيج هذه الحركات.

الإنتشار

١ ـ الإسلام كحركة انتشارية عالمية.

٢ ـ المؤشرات الأولى في عصر الرسالة:

٣ ـ العصر الراشدي واستراتيجية الجهاد:
- دوافع الحركة ومغزاها.
- معطيات الفتح الأساسية في كافة الجبهات.
- عوامل الانتصار.
- النتائج الأساسية.

٤ ـ موجة الفتوحات الثانية في العصر الأموي:
- الدوافع.
- الخطط والمعطيات الأساسية في كافة الجبهات.
- النتائج الرئيسية.

٥ ـ القيادة العباسية وتباطؤ حركة الانتشار:
- البحث عن الأسباب.
- الدويلات الإسلامية تأخذ على عاتقها مهمة الانتشار:
  - الأدارسة في المغرب.
  - الأغالبة في البحر المتوسط وجنوبي أوروبا.

- المرابطون والموحدون في الصحراء وغربي إفريقيا.
- السامانيون والغزنويون والغوريون وجناح المغول الهندي في المشرق والهند وجنوب شرق آسيا.

٦ ـ موجة الفتوحات الثالثة في العصر العثماني:
- الدوافع.
- الخطط والمعطيات الأساسية في كافة الجبهات.
- النتائج الرئيسية.

٧ ـ تحليل لظاهرة الفتح الإسلامي:
- المغزى التحريري للظاهرة.
- معنى إزاحة السلطات الجائرة بالقوة وإتاحة حرية الاعتقاد للإنسان.
- تهافت نظرية الانتشار بقوة السلاح.
- شهادات الغربيين والخصوم بهذا الصدد.
- طبيعة معاملة المغلوبين مقارنة بالقيادات غير الإسلامية في العالم.
- لماذا بقي الإسلام في معظم الأراضي التي فتحها.
- تحليل للاستثناءات (الأندلس وأوروبا الشرقية).

٨ ـ قنوات انتقال غير المسلمين إلى الإسلام في ظلال الدول الإسلامية:
- الاحتكاك الاجتماعي.
- القدوة.
- التأثيرات الثقافية.
- الحوار اليومي.
- الدعوة الفردية والجماعية.
- أنشطة المؤسسات الرسمية والشعبية.
- الروابط الاجتماعية.
- المقارنة الذاتية أو الموضوعية بين المذاهب والأديان.
- قوة الجذب التي يتميز بها الإسلام وانسجامه مع مطالب الإنسان.

٩ ـ موجة الانتشار الرابعة في إفريقيا وجنوب شرقي آسيا:

- دور الدعاة من شتى الصنوف.
- عوامل الانتشار.
- المعطيات الأساسية.
- النتائج.

الهجوم المضادّ

١ ـ حتمية الاصطراع بين المعسكر الإسلامي وسائر المعسكرات الأخرى في العالم.

ـ مغزى شهادة الإسلام الأساسية (لا إله إلا الله).

٢ ـ الهجوم الوثني المضاد:

ـ العصر المكّي.

ـ العصر المدني.

ـ حركة النفاق.

ـ حركة الردّة والتنبؤ.

ـ انتفاضات الوثنيات العتيقة في أواسط آسيا والهند وشمالي افريقيا.

ـ الهجمة المغولية.

ـ الوثنيات الإفريقية في العصور التالية.

٣ ـ اليهودية:

ـ البدايات المبكرة في عصر الرسالة.

ـ الانفتاح الإسلامي والدور التخريبي لليهود في العصر الراشدي والعصور التالية: تحليل لظاهرة السبأية:

ـ العمل بواجهات إسلاميّة لتدمير الإسلام من الداخل.

- مؤامرة الدونمة اليهودية على الخلافة العثمانية في عصر السلطان عبد الحميد.
- نتائج السقوط وضياع فلسطين.

٤ - الصليبية:

- دراسة تحليلية لمحاور الهجوم الصليبي المضاد على عالم الإسلام:
  - البيزنطيون.
  - الأسبان.
  - الحركة الصليبية.
  - الالتفاف الأسباني.
  - الالتفاف البرتغالي.
  - الالتفاف الأوروبي.
  - الاستعمار الجديد (الامبريالية وظاهرة الغزو الثقافي).
- متابعة للمعطيات الأساسية للصراع على كل محور والنتائج التي تمخضت عنه.
- الاستعمار.

حَركة المجتَمَع ـ القَاعِدَة

١ ـ تشكل المجتمع الإسلامي في عصر الرسالة:

ـ البيئة التاريخة، الخصائص والمقومات.

ـ مقارنة بين المجتمع الإسلامي المبكر وسائر المجتمعات الأخرى في العالم.

٢ ـ تحليل لعناصر المجتمع الإسلامي عبر التاريخ.

(أ) الطبقات الاجتماعية:

ـ المفهوم الإسلامي للعدل الاجتماعي.

ـ التوازن الاجتماعي في عصر الرسالة والنصف الأول من العصر الراشدي.

ـ الفتوحات وتأثيرات تراكم الثروة.

ـ موقف الإسلام من ظاهرة الرق: (الإطار الفقهي والمعالجات العملية).

ـ محاولات إسلاميّة لتحقيق العدل الاجتماعي (عمر بن عبد العزيز ونور الدين محمود كنموذجين متكاملين لهذه المحاولات).

ـ دور الظلم الاجتماعي عبر التاريخ الإسلامي في قيام حركات المعارضة (كالزنج والزط والقرامطة وغيرها).

ـ تقويم لهذه الحركات من منظور إسلامي.

(ب) العناصر غير العربية:

ـ دعوة الإسلام للمساواة بين كافة الأعراق.

- دور العرب في انتشار الإسلام وقيام الدولة.
- ظاهرة الموالي والحركات التي تمخضت عنها.
- سياسات الأمويين إزاء غير العرب.
- اختفاء ظاهرة الموالي في العصر العباسي وبروز ظاهرة الشعوبية.
- ديناميكيّة المجتمع الإسلامي ورفضه الطبقية المقفلة.
- الفرص المفتوحة أمام كافة الفئات الاجتماعية والعرقية بما فيها العبيد والمماليك للوصول إلى القمة.

(ج) العناصر غير الإسلامية:
- المنظور الإسلامي لغير المسلمين في الدولة الإسلامية.
- معطيات عصر الرسالة.
- العصر الراشدي وشهادة الغربيين.
- مقارنة لوضع الأقليات الدينية بين مجتمع الإسلام والمجتمعات الأخرى.
- العصور الأموية والعباسية والعثمانية والفرص المفتوحة أمام غير المسلمين على كافة المستويات الدينية، الثقافية، الإدارية والاجتماعية.
- تقويم لنتائج الانفتاح الإسلامي على غير المسلمين.

(د) الرجل والمرأة:
- مكانة المرأة في المنظور الإسلامي مقارنة بوضعها في العصور الجاهلية عبر العالم كله.
- دور المرأة المسلمة وتميزه عبر عصور التاريخ الإسلامي:
- المساهمات العقيدية والسياسية والعسكرية والثقافية والتربوية والاجتماعية.
- المسألة الجنسية عبر التاريخ الإسلامي مقارنة بالمجتمعات الأخرى.
- المجتمع الإسلامي ومسألة التوازن الفريدة بين مطالب الروح وضرورات الجسد.

- المجتمع الإسلامي مجتمع الطيبات والرفاهية والمتع المباحة: شواهد تاريخية.

٣ - الملامح الأساسية للمجتمع الإسلامي عبر التاريخ:

- التوازن.
- التحرر.
- التكافل.
- الانضباط.
- الحركيّة.
- العالميّة.
- الواقعيّة.

المُعطَيَاتُ الحَضَارِيَّة

١ ـ المنظور الإسلامي للمصطلح الحضاري:

ـ مناقشة للتقسيمات التقليدية لمصطلحات: «الثقافة»، «المدنية»، «الحضارة»، وموقع الدين منها.

٢ ـ الإسلام يمهّد الطريق للحضارة:

(أ) النقلة التصورية الاعتقادية.

(ب) النقلة المعرفية.

(ج) النقلة المنهجية باتجاهاتها الثلاثة: السببية، القانونية التاريخية ومنهج البحث الحسّي التجريبي.

٣ ـ إنجازات الإسلام في دوائر النشاط الحضاري:

(أ) الدائرة الثقافية (العلوم الإنسانية والمعرفة التطبيقية، الآداب والفنون، التربية والتعليم، العادات والتقاليد والأذواق والميول... الخ).

(ب) الدائرة الاقتصادية والعمرانية.

(ج) الدائرة الإدارية (النظم والمؤسسات).

٤ ـ الوظائف الأساسية للحضارة الإسلامية على مستوى العالم:

(أ) احترام التراث الحضاري البشري وحمايته والأخذ عنه.

(ب) الابتكار والإغناء والإضافة.

(ج) النقل الجغرافي والانتشار: أبعاد التأثير في الحضارة الغربية.
(د) مقارنة بين دور الإسلام الحضاري ودور المذاهب والحضارات الأخرى.

٥ ـ الخصائص الأساسية للحضارة الإسلامية:
- الالتزام الإيماني.
- الأصالة والانفتاح.
- القدرة على الاستجابة للتحديات.
- التوازن بين كافة الثنائيات.
- النزعة الإنسانية التي ترفض العرقية والطبقية والمذهبية.
- الشمولية في تغطية كافة مطالب الحياة.

قائمة بعدد الموضوعات المقترحة الخاصة بطلبة الماجستير والدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية

١ المنظور القرآني للتاريخ.

٢ ـ علوم الحديث وعلاقتها بمنهج البحث التاريخي وبنشوء علم التاريخ وتطوره.

٣ ـ المؤرخ الإسلامي القديم بين منهجي نقد الرواية والاستسلام لها (الطبري، المسعودي، اليعقوبي، الدنيوري، أو بكر بن العربي، ابن الأثير، ابن كثير. . . . الخ).

٤ ـ المجتمع الإسلامي في العصر الراشدي.

٥ ـ المجتمع الإسلامي في العصر الأموي.

٦ ـ المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الأول.

٧ ـ المجتمع الإسلامي في العصور العباسية التالية.

٨ ـ المجتمع الإسلامي في بيئات جغرافية محددة (من مثل مصر، الشمال الإفريقي، الأندلس، افريقيا، آسيا الوسطى. . . الخ).

٩ ـ المجتمع الإسلامي والصدمة الاستعمارية (تحليل لردود الأفعال المتباينة ونتائجها).

١٠ ـ ظاهرة انتشار الإسلام في عصر الراشدين:
- الدوافع.

- الخطط.
- الأهداف والنتائج.

١١ ـ ظاهرة انتشار الإسلام في إحدى العصور التالية: (الأموي، العباسي، العثماني... الخ).

١٢ ـ الدعوة إلى الإسلام في بيئات محددة من مثل: (الهند، جنوب شرق آسيا، غرب إفريقيا، شرق إفريقيا، جنوب شرق أوروبا... الخ).

١٣ ـ عصر الدويلات الإسلامية ودورها العقيدي والسياسي والحضاري: (يتم اختيار دولة من الدويلات التي سبق ذكرها في مخطط الكتاب المنهجي).

١٤ ـ تداول السلطة في العصر الراشدي.

١٥ ـ تحليل للدور اليهودي في التاريخ الإسلامي.

١٦ ـ المقاومة الإسلامية للغزو المغولي.

١٧ ـ الحروب الصليبية من منظور إسلامي: الدوافع والمعطيات والمغزى.

١٨ ـ دراسة في المحاولات التاريخية لأسلمة السلطة: (عمر بن عبد العزيز) (نور الدين محمود بن زنكي) (حكومة الجماعة في قرطبة ٤٢٢ ـ ٤٣٥ هـ)... الخ.

١٩ ـ الأقليات غير المسلمة في إحدى عصور التاريخ الإسلامي: (الراشدي، الأموي، العباسي، المملوكي، العثماني، الأندلسي... الخ).

٢٠ ـ حركات المعارضة وعلاقتها بالمنظور الإسلامي (من مثل حركة ابن الأشعث، الحركة الزيدية، الثورة العباسية، الزنج، الحركات الصوفية... الخ).

٢١ ـ المرأة في المجتمع الإسلامي (في عصر ما أو بيئة محددة).

٢٢ ـ الفقهاء والسلطة (في عصر ما أو بيئة محددة).

٢٣ ـ أصول الحضارة الإسلامية ونشأتها: التحديات وطبيعة الاستجابة ،عوامل التكوين.

٢٤ ـ دور القرآن والسنة في تشكيل وصيرورة الحضارة الإسلامية.

٢٥ ـ الحضارة الإسلامية والغرب: رصد وتحليل لعناصر الأخذ والعطاء.

٢٦ ـ الفنون الإسلامية ومدى ارتباطها وتأثرها بالعقيدة الإسلامية.

٢٧ ـ النظم والمؤسسات الإسلامية ومدى ارتباطها وتأثرها بالمنظور الإسلامي (يتم اختيار واحد فقط من النظم أو المؤسسات في كلّ بحث).

٢٨ ـ منهج البحث التجريبي في الحضارة الإسلامية:
- تأثير القرآن والسنة.
- المعطيات.
- الاقتباسات الغربية.

ملاحظة: ويمكن كذلك انتقاء مواضع أخرى من بين مفردات مخطط الكتاب المنهجي المرفق.

قائمة بأهم المؤلفات المنشورة للدكتور عماد الدين خليل

(أ) المؤلفات التاريخية

١ ـ ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.
٢ ـ عماد الدين زنكي ـ الدار العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م.
٣ ـ دراسة في السيرة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.
٤ ـ نور الدين محمود: الرجل والتجربة ـ دار القلم ـ دمشق ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
٥ ـ الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام: أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
٦ ـ في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٧ ـ المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي: عصر ولاة السلاجقة في الموصل ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٨ ـ حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ـ دار الثقافة ـ الدوحة ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٩ ـ ابن خلدون إسلامياً ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
١٠ ـ دراسات تاريخية ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
١١ ـ التفسير الإسلامي للتاريخ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.

(ب) المؤلفات الإسلامية

١ ـ مقال في العدل الاجتماعي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
٢ ـ مع القرآن في عالمه الرحيب ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
٣ ـ آفاق قرآنية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

٤ ـ العلم في مواجهة المادية ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
٥ ـ مدخل إلى موقف القرآن من العلم الحديث ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.
٦ ـ حول إعادة تشكيل العقل المسلم ـ كتاب الأمة ـ الدوحة ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.
٧ ـ مؤشرات إسلامية في زمن السرعة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
٨ ـ حوار في المعمار الكوني ـ دار الثقافة ـ الدوحة ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.
٩ ـ في الرؤية الإسلامية ـ دار الثقافة ـ الدوحة ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

(ج) المؤلفات الأدبية/ الدراسات
١ ـ في النقد الإسلامي المعاصر ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.
٢ ـ فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.
٣ ـ الطبيعة في الفن الغربي الإسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.
٤ ـ محاولات جديدة في النقد الإسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
٥ ـ مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

(د) المؤلفات الأدبية: الأعمال الإبداعية
١ ـ المأسورون (مسرحية) ـ دار الإرشاد ـ بيروت ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.
٢ ـ جداول الحب واليقين (شعر) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.
٣ ـ معجزة في الضفة الغربية (مسرحيات ذات فصل واحد) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.
٤ ـ خمس مسرحيات إسلامية (مسرحيات ذات فصل واحد) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
٥ ـ الإعصار والمئذنة (رواية) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
٦ ـ المغول (مسرحية) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
٧ ـ العبور (مسرحيات ذات فصل واحد) ـ دار المنارة ـ جدة ـ ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

(هـ) البحوث والمقالات التاريخية المنشورة في مجلة «المسلم المعاصر»
١ ـ «في التفسير الإسلامي للتاريخ ـ الصراع ودوره في الحركة الحضارية».
س ١: ع الافتتاحي (١٠/١٣٩٤ هـ) ص ٦٦ ـ ٨٥.

٢ ـ «في التفسير الإسلامي للتاريخ: المسألة الحضارية»
س ١: ع ١، ٢ (١٣٩٥/٤ هـ) ص ٩ ـ ٤٠.
٣ ـ «مؤشرات حول مشروع كتابة تاريخ العرب والإسلام»
س ٣: ع ١١ (١٣٩٧/٧ هـ) ص ١٢٣ ـ ١٣٦.
٤ ـ «دعوة إلى رفض الاستسلام لمصادرنا التاريخية ـ ملاحظات في النقد التاريخي»
س ٨: ع ٣٠ (١٤٠٢/٥ هـ) ص ١١ ـ ٢٦.
٥ ـ «حول إسلامية تفسير ابن خلدون للتاريخ»
س ٨: ع ٣٢ (١٤٠٢/١٠ هـ) ص ٢٥ ـ ٥٠.
٦ ـ «قائمة: في التاريخ والحضارة الإسلامية ـ دليل الأطروحات المقترحة»
س ١٤: ع ٥٣ (١٤٠٩/١ هـ) ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أولاً ــ إسلامية المعرفة:

١ ــ إسلامية المعرفة: المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، ١٤٠٦/١٩٨٦م.

٢ ــ الوجيز في إسلامية المعرفة (المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق العمل لمؤتمرات الفكر الإسلامي)، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. أعيد طبعه في المغرب والأردن والجزائر. (الطبعة الثانية ستصدر قريبًا)

٣ ــ نحو نظام نقدي عادل للدكتور محمد عمر شابرا ، ترجمه عن الانجليزية سيد محمد سكر وراجعه الدكتور رفيق المصري، (الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٠هـ/١٩٩٠.

٤ ــ نحو علم الإنسان الإسلامي للدكتور اكبر أحمد ترجمه عن الانجليزية الدكتور عبد الغني خلف الله، الطبعة الأولى، (دار البشير/ عمان الأردن) ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥ ــ منظمة المؤتمر الإسلامي للدكتور عبدالله الأحسن ترجمه عن الانجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٦ ــ تراثنا الفكري للشيخ محمد الغزالي الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

ثانيًا ــ سلسلة إسلامية الثقافة:

١ ــ دليل مكتبة الأسرة المسلمة خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، (الطبعة الثانية المنقحة ستصدر قريبًا).

٢ ــ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف للدكتور يوسف القرضاوي (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر) ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ثالثًا ــ سلسلة الفكر الإسلامي المعاصر:

١ ــ حجية السنة للشيخ عبد الغني عبد الخالق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، (والطبعة الثانية ستصدر قريبًا).

٢ ــ أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور طه جابر العلواني، (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية ــ بقطر)، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣ ــ الإسلام والتنمية الاجتماعية للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م.

٤ ــ كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.

٥ ــ كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

رابعًا ــ سلسلة المنهجية الإسلامية:

١ ــ المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية (أعمال المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي) الجزء الأول: المعرفة والمنهجية ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.

٢ ــ معالم المنهج الإسلامي: الدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

خامسًا ــ سلسلة أبحاث علمية:

١ ــ أصول الفقه الإسلامي، منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلواني ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. (الطبعة الثانية تصدر قريبًا).

سادسًا ــ سلسلة المحاضرات:

١ ــ الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.

سابعًا ــ سلسلة رسائل إسلامية المعرفة:

١ ــ خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢ ــ نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣ ــ الأسس الإسلامية للعلم، (مترجمًا عن الانجليزية)، للدكتور محمد معين صديقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٤ ــ قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٥ ــ صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقي الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٦ ــ أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٧ ــ مدخل إلى إسلامية المعرفة، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

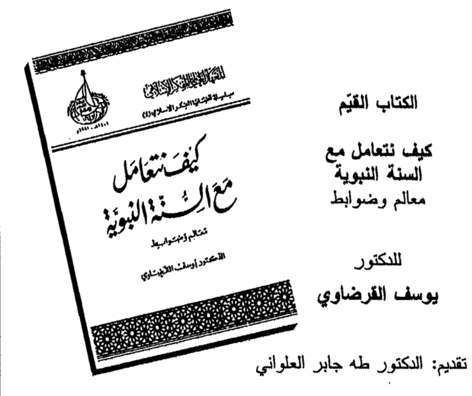
ثامنًا ــ سلسلة الرسائل الجامعية:

١ ــ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للأستاذ أحمد الريسوني ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢ ــ الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (١٩٧٨ــ١٩٨٧) للأستاذ فادي إسماعيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١هـ.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
يقدم إلى القارىء الكريم

الكتاب الرابع ـ في سلسلة قضايا الفكر الإسلامي:



الكتاب القيّم

كيف نتعامل مع السنة النبوية
معالم وضوابط

للدكتور
يوسف القرضاوي

تقديم: الدكتور طه جابر العلواني

كتاب يعتبر دعامة في بناء منهج فهم السنة النبوية.. يعرض لأهم قواعد فهم السنة النبوية المطهرة.. ويعمل على توجيه الأمة الى قضايا فهم السنة.. ويجعل دراسات السنة وفهمها تأخذ مكانها اللائق بها..

يطلب من الموزعين المعتمدين.

سعر الكتاب: غلاف عادي: ٧ر٥ دولارات

مجلــة



"The Contemporary Muslim"

فصلية تعالج قضايا الاجتهاد المعاصر في ضوء الأصالة الإسلامية

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير المسؤول: الدكتور جمال الدين عطية

تصدر عن :

مؤسسة المسلم المعاصر
AL MUSLIM AL MU'AṢIR FOUNDATION

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
INTERNATIONAL INSTITUTE OF ISLAMIC THOUGHT

مراسلات التحرير:
٢٦ ب شارع الجزيرة الوسطى
الزمالك ـــ القاهرة ـــ مصر
Cairo Egypt

للإشتراك في اوربا:
Al Muslim al Mu'āṣir
IIIT/LO
P.O. Box 126
Richmond
Surrey TN9 2UD U.K.

للإشتراك في شمال أمريكا:
Al Muslim al Mu'āṣir/IIIT
555 Grove Street
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A.
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922

الموزعون المعتمدون لمنشورات
المعهد العالمي للفكر الإسلامي

في شمال أمريكا

المكتب العربي المتحد

United Arab Bureau
P.O. Box 4059
Alexandria, VA 22303, U.S.A.
Tel: (703) 329- 6333
Fax: (703) 329- 8052

خدمات الكتاب الإسلامي

Islamic Book Service
10900 W. Washington St
Indianapolis, IN 46231 U.S.A.
Tel: (317) 839- 9248
Fax: (317) 839- 2511

في أوروبا

المؤسسة الإسلامية

The Islamic Foundation
Markfield Da'wah Centre, Ruby Lane
Markfield, Leicester LE6 ORN, U.K.
Tel: (44- 530) 244- 944/ 45
Fax: (44- 530) 244- 946

خدمات الإعلام الإسلامي

Muslim Information Services
233 Seven Sister Rd.
London N4 2DA, U.K.
Tel: (44- 71) 272- 5170
Fax: (44- 71) 272- 3214

المملكة العربية السعودية

الدار العالمية للكتاب الإسلامي
ص.ب. ٥٥١٩٥ الرياض ١١٥٣٤
تليفون 0818 -465 -1 (966)
فاكس 3489 -463 -1 (966)

مصر

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
٢٦ ـ ب شارع الجزيرة الوسطى
الزمالك ـ القاهرة
تليفون 9520 -340 (202)
فاكس 9520 -340 (202)

الأردن

دار البشير للنشر والتوزيع
ص.ب. ١٨٢٠٧٧ ـ عمان
تليفون 9891 -665 (962)
فاكس 9893 -665 (962)

المغرب

دار الأمان للنشر والتوزيع
4، زنقة المامونية
الرباط ـ المغرب
تليفون 723276 (7 -212)

لبنان

المكتب العربي المتحد
ص.ب. ١٣٥٧٨٨ بيروت
تليفون 807779
تيلكس 21665 LE

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميّة والفكريّة المتخصّصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية والإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P. O. Box 669)
Herndon, VA 22070- 4705 U.S.A
Tel: (703) 471- 1133
Fax: (703) 471- 3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هذا الكتـاب

يقدم للقارئ مشروع إسلامية المعرفة على خريطتين متكاملتين الأولى تنظيرية والثانية تطبيقية . أما الأولى فتتناول المصطلح تعريفًا، والضرورات الداعية إلى المشروع، بسطًا وتوضيحًا في أبعادها الأربعة: العقيدية، والإنسانية، والحضارية، والعلمية، ويدلل على كل منها، ونصًا وعقلاً وتاريخًا. ثم يعرض الحلقات الأساسية للمعرفة من طبيعية وتطبيقية وإنسانية، ويبين قدرتها على تقبل إعادة صياغتها من منظور إسلامي - أي قابليتها للأسلمة - شارحًا الفرق بينها، وبين ما يُستهدف منها.

ويعرض الكتاب للعديد من القضايا ذات الصلة الوثيقة بموضوع المعرفة، كالقرآن والعلم الحديث، فيبين فلسفة العلم، وأهدافه، ومبادئه الأساسية، كمبدأ الاستخلاف، ومبدأ التسخير.

ثم يتعرض للمنهج القرآني للعمل على اكتشاف السنن في الأنفس والآفاق. ثم يشرح بعدًا علميًا آخر في القرآن الكريم يتعلق بالحقائق والسنن والنواميس التي تضمنتها آياته، وأخيرًا يوضح دعوة القرآن الكريم إلى اعتماد الحقائق والكشوف لتطوير الحياة وترقيتها.

وفي النهاية يتناول بالبحث والتحليل تراثنا المعرفي الإسلامي موضحًا علاقته بالتصور الإسلامي المطلوب، ثم المعطيات الإسلامية الحديثة كامتداد لهذا التراث.

وأما الخريطة التطبيقية فتختار علم التاريخ ميدانًا لها؛ للتخطيط لكتاب منهجي، يوضح الفكرة بالمثال، ويستنهض الهمم لتحذو حذوهُ في مجالات المعرفة المختلفة.

